تفسير فاتحة الكتاب

لسماحة الأستاذ الشيخ محمد كاظم آل شبير الخاقاني

تفسير فاتحة الكتاب

تفسير فاتحة الكتاب

لسماحة الأستاذ الشيخ محمد كاظم آل شبير الخاقاني

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين المعصومين.

وأما بعد، فإن من فضل الله تعالى ولطفه على عباده، بعث الرسل وإنزال الكتب لإخراج الناس من الظلمات الى النور، وقد جعل من أوجب الواجبات معرفة كتابه المجيد، الذي جعله منار هدى وصراطاً مستقيماً لمن أراد الى ربه سبيلاً.

وقد دلّت السنة القطعية، على أنه الميزان الذي توزن به جميع الأمور حديثاً وسيرةً، فما طابقه كان حقاً، وما خالفه كان زخرفاً من القول، يضرب به عرض الجدار.

وقد اعتبرت سورة الحمد أم الكتاب، لاشتمالها على جميع ما جاء في هذا الكتاب العظيم، وفاتحة معرفية له علماً وعملاً، يبلغ بها السالك سبل ربه منازل المقربين، لو أمعن النظر في ما يعيشه من

محضر ربوبي كل يوم في صلواته.

جعل الله لنا فاتحة كتابه مفتاحاً لدخول ميادين رحمته، بما يحمل هذا الكتاب العظيم في طياته من ظهور وبطون، وبما لسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من مزيد بيان لبلوغ أقصى الغايات وسيرة لأوليائه المعصومين (عليهم الصلاة والسلام) من تجسيد لمعالم الربوبية حكمةً وعدلاً، إنّه ولي التوفيق.

وأنار الله صراطه المستقيم بمهدي آل محمد (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، وجعلنا من أتباعه والمستشهدين تحت لوائه، لكي نرى الحق حقاً، بالقطع واليقين لا بالإجتهاد وتأويل المؤولين وتفسير المفسرين، آمين رب العالمين.

ولابد هاهنا، من إلفات نظر القارئ الكريم، إلى أن من قامت بجمع وترتيب هذه المحاضرات ابنتي (هيام)، وفّقها الله تعالى لمراضيه، داعياً لها، ولجميع المؤمنين والمؤمنات، بكل خير إنه سميع الدعاء.

محمد كاظم الخاقاني

المحاضرة الأولى

ما معنى التفسير وحرمة التفسير بالرأي؟

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، وبعد ...

فنبدأ بعون الله تعالى، على قدر المعرفة والطاقة البشرية تفسير القرآن المجيد، داعين الله تعالى أن يمنّ علينا بالتوفيق والتسديد، إنه أرحم الراحمين.

فنقول. إن هناك ظاهراً للقرآن المجيد، كما وأن لكل كلام ظواهر، وهذا مما لا بحث فيه لأحد لأنه متيسر للجميع، فمن كان يعرف اللغة العربية، يفهم الكثير من المعاني التي لا تحتاج الى تفسير او تأويل.

مقدمة في البدء

لابد من الإشارة، إلى أنه يُنسب لبعض الإخباريين، أنهم لا يجيزون التفسير للقرآن المجيد.

وفي النسبة تأمل، لأنّه لابدّ لكل كلام أن يسمع أو يقرأ من أهله، أي من كتب علماء الإخباريين أنفسهم، وما هو في كتبهم - على عكس ما ينسب إليهم -، ومن أكابر علمائهم هو الشيخ يوسف البحراني (صاحب الحدائق) ومن مفسريهم الفيض الكاشاني (صاحب تفسير الصافي)، وغيرهما من الأعلام كثير.

ولكن من المؤسف، أن نرى أن هناك من يتسارع في إطلاق النسب بلا تثبت، لمجرد أنه رآها في كتب قوم، ربما بنوا منهجيتهم على النقد.

وإني قد أوضحتُ الكثير من هذه المطالب في بحث الإخباريين والأصوليين، في مباحث (العقل والإجماع)، وقد أشرتُ هناك إلى أن الواقع هو خلاف ما يشاع في كثير من النسب الموجودة من بعض الأصوليين على الإخباريين، أو من بعض الإخباريين على الأصوليين. وقد راح ذلك في بعض الأزمنة الماضية، ليدفع بالطائفة إلى التمزّق، وقد حاول البعض أن يجعل الدين دكاكين يستعيش من ورائها، كما هو شأن بعض المتطرفين، الذين ينالون من أكابر علمائنا (قدس الله أسرارهم)، سواء كانوا من الإخباريين او الأصوليين.

والمتتبع سيجد، أن بعض كلمات الإخباريين، التي توهم بعدم

جواز تفسير القرآن الحكيم، إلا بما تدل عليه الروايات أن المراد من ذلـك هو خصوص آيات الأحـكام. لأن الغالب في هذه الموارد هو التوضيح الوارد من قبل روايات أهل البيت عليهم السلام.

كما وأنه يستفاد في موطن آخر، أن مراد بعضهم، أنه لما كانت الروايات عِدلاً للكتاب المجيد، وعليه فلا يجوز القطع بشيء إلا ما كان ظاهـراً، وما هـو وراء ذلك يحتاج الى مراجعـة الروايات، حتى لا يُفسـر القـرآن المجيد بمعـزل عن أهل البيـت عليهم السلام. ولكن ليس معنـى هذا أن القرآن المجيد لا ظهور فيـه او أن ظهوره ليس بحجة. وإلا لكان معنى ذلك أن علماء الإخباريين لا يجوزون العمل إلا بما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام، ولزم من ذلك أن يقول القائل أن علمـاء الإخباريين، وفيهم من هو من أكابر علماء الشـيعة لا يقولون إلا بالروايات، لأنه كما هو شـايع أنهم لا يقولون بالعقل والإجماع، وإذا كانـوا لا يقولون بحجية ظواهر القرآن المجيد، فيصبح ذلك أنه ليس لديهم إلا الروايات.

فيكون خلافهم مع الأصوليين في الكتاب والإجماع والعقل، هدانـا اللـه وإياكم الـى الصواب والتثبـت، وأبعدنا من التسـارع في إطلاق الأحكام على الآخرين، حتى ولو كانوا غير مسـلمين، فضلاً عمّن كان من أكابر علمائنا الأبرار أصوليين كانوا أو إخباريين.

الأمـر الثاني، الذي يجـب الإلتفاف إليه، هو أنـه ما هو المراد من التفسير للكتاب المجيد؟

في حيـن أن القرآن هو النور السـاطع والبيان التام، والتفسـير

هـو الإبانة والإيضاح، فهل يحتاج القـرآن بعد ذلك إلى إيضاح وهو البيان؟!

والجـواب: أن يقال أن هاهنا محتمـلات عدة يجب الإلتفات إليها، فمن هذه المحتملات:

الاحتمـال الأول: أنـه ممـا لا ريـب فيـه أن هناك ما هو ميّسـر مـن المعانـي للجميع، على حد سـواء، مادام الإنسـان عارفـاً باللغة العربيـة، لكـن القرآن يُفسـر بلحاظ مـا له من عام وخـاص، ومطلق ومقيد، ومحكم ومتشـابه، وناسـخ ومنسـوخ، ومجمـل ومبين، ولو بلحـاظ جمع الآيات لأن القرآن يفسـر بعضه بعضاً. أو بلحاظ جمع الآيـات مـع الروايات الـواردة عن المعصوميـن عليهم السلام، حتى تتضح بعـض الآيـات إذا احتـاج الأمر في مـورد الى ذلـك، لأن ما ورد من المعصومين عليهم السلام هو الثقل الثاني.

ولـذا من نظر إلـى آية بمعزل عـن بقية الآيات، قـد يصبح من المجبـرة أو المفوضـة أو المجسـمة. كمـا وأنه من يفسـر القرآن بلا ملاحظة الروايات قد يخطئ في كثير من المواطن.

الاحتمـال الثانـي: كمـا وأن الله تعالى من صفاتـه، أنه الظاهر والباطـن، كذلـك كلامـه لـه ظهـور وبطـون علـى اختـلاف مراتب المدركيـن عقلاً، وبما لهم مـن مراتب العلم وزكاة النفس، وقد ورد في الأحاديث الشريفة، أن للقرآن سبعاً أو سبعين بطناً، ولا يمكن أن ينـال هذه الأبعـاد، إلا من كان ذا حظ عظيم وهـو العارف بها، بنحو القطع واليقين لا بنحو الإجتهاد، وهم المعصومون عليهم السلام.

الاحتمال الثالث: إنّ القرآن لما كان كتاب الله تعالى، الذي خاطب به سيد الكائنات محمداً ﷺ، وخاطب به الناس على اختلاف مراتبهم، ليشرب من معينه كل على قدر سعة وجوده وزكاة نفسه ومدارج علمه، لابد أن تكون له معانٍ بأبعادها الواسعة، وهذا مما يكون مدعاة أيضاً لتفسير هذا الكتاب العظيم.

الاحتمال الرابع: أنه لما كان الله تعالى لامتناهٍ ذاتاً وصفةً، فلابد وأن يكون كلامه أيضاً غير متناهٍ علماً، لأنه يروي لا نهاية الكمال من حيث تعلقه بالمبدأ تعالى وفيضه، وهو كل يوم في شأن جديد. وبهذا اللحاظ يحتاج القرآن المجيد دائماً على مرّ العصور إلى من يفسره تفسيراً مستمراً لا يقف عند حدٍ، لأنه تعالى هو كل يوم في شأن، فكذلك ما يرجع إلى علمه، إذن لعلمه تعالى مزيد في كل يوم، كما لجوده تعالى المزيد، بتبع لا نهاية ذاته وصفاته، والقرآن المجيد هو سفر هذا العروج الى الحق اللامتناهي.

فإذن لهذه المحتملات العقلائية ولغيرها، لا مانع من القول بأن القرآن المجيد يحتاج الى تفسير، إن لم نقل أن ذلك لابد منه، لأنه من شأن كلام عظيم العظماء وهو الله تعالى.

ما المراد من التفسير بالرأي؟ ولماذا كان محرماً؟

ذلك لأنه قد ورد عن النبي الأكرم ﷺ: «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»، بمعنى أن عليه أن يستعد لمكان يقيم به في النار، وتبوأ المكان أقام به وكان له منزلا محيطاً به. لكن كيف

يكون التفسير بالرأي سببا للإقامة في النار؟!

والحال أن الرأي هو إعمال العقل والتدبر واستخدام الرأي، حيث أنه مِن رأى رأياً ويجمع على آراء، فأين تكمن المشكلة ليكون ذلك مدعاة للإقامة في النار؟!

فنقول هاهنا احتمالات عدة:

الاحتمال الأول: لعل المراد من التفسير بالرأي، أي بالعقل المجرد، بغض الطرف عن المسالك الربوبية والمناهج الإلهية، والخطى التي يجب أن يتقيد بها الإنسان المؤمن، بتبع ما جاء من الأنبياء الكرام وبيّنه الأوصياء عليهم السلام. وإلا فلو كان العقل بما هو سبيلاً للنجاة، لكان كما قال بعض الفلاسفة من أنه لا حاجة لنا بالأنبياء، لأنا نتوصل إلى الحقائق بعقولنا، بواسطة الدليل والبرهان. والأنبياء إنما بعثهم الله تعالى لعامة الناس، لأنهم من ضعفاء العقول، فمن ظنّ من المسلمين الإكتفاء بالعقل لفهم كتاب الله، في جميع مدراج السبل الإلهية، كان مصاباً بالغرور، لاحتياج كل إنسان إلى معارف لابد منها، وإلى تتبع الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام. نعم للعقل مجاله الواسع، حيث إنا به عرفنا الله، وعرفنا أنه لابد من متابعة الأنبياء وأوصيائهم الكرام عليهم السلام، وبه عرفنا الأسس التي بها نميّز الحق عن الباطل، والحسن من القبيح.

الاحتمال الثاني: أو لعل المراد من التفسير بالرأي، هو ردع لبعض الجهلة، الذين يظنون أن مجرد المعرفة باللغة العربية كافٍ لفهم القرآن المجيد. إما للجهل أو للغرور المانع من السؤال، حيث

يصبح الشخص يرى نفسه عظيماً، لمجرد نسب أو جاه أو مقام. فيأبى أن يسأل أهل الذكر أو العلماء. وعلى هذا يصبح الشخص أيضا من ناحية ثانية، مصداقاً للروايات التي تقول «من فسّر القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار». ومن المعلوم أن المفسر للقرآن بالرأي، تارة يكون للجهل، ولو بدوافع الغرور، وتارة كما سيأتي يكون من باب المكر والشيطنة.

الاحتمال الثالث: أن يراد من التفسير بالرأي، ردع من يحاول أن يفسر الكتاب المجيد بتبع آرائه وغاياته، حيث يفرض آرائه وأفكاره على القرآن، ويفسر الآيات بما يتناسب ومذهبه أو مسلكه، ليبرر بذلك ما هو عليه من الفعل. كما هو المشاهد في كثير من الموارد بالنسبة لأصحاب المذاهب الإسلامية المختلفة، حيث راح كل فريق، بل وكل حزب، ليفسر الكتاب المجيد على مذاقه، ولو كان من القائلين بالجبر او التفويض، بل حتى من اختار المسالك والمناهج الحديثة كالعلمانيين والشيوعيين الإقتصاديين لا الشيوعيين الإلحاديين، راح أيضاً ليفسر القرآن بتبع هواه.

حيث يصبح الشخص بدلاً من أن يستظل بالقرآن، يستخدمه لغايات ويفسره بتبع هواه، والقرآن المجيد كما ورد عن علي عليه السلام: «القرآن حمّال أوجه ....»، لمن أراد أن يتلاعب او كان جاهلاً مركباً كالخوارج. ولا ننسى أن على رأس هؤلاء الخوارج، هو إبليس الذي لجهله وكبره راح ليتهم الله تعالى في عدله وعلمه، بعد ستة آلاف سنة من العبادة، حينما كانت العبادة مدعاة للكبر لا للخضوع،

وإن كان إبليس ماكراً من جهة أخرى لكن المكر غير العقل.

فالقرآن نور ساطع، وكتاب هداية، وكلام مبين لطلاب الحقيقة، أهل الطهر والزكاة والعلم.

الاحتمال الرابع: أن يكون مراد الرسول ﷺ بهذا الحديث الشريف، تحذير هذه الأمة من التلاعب بالدين بإسم رب العالمين، كما حدث من بعد رحيله ﷺ، حيث اعتبرت العامة - أي أبناء السنة والجماعة - جميع الصحابة مجتهدين، وقال قائلهم أن للمصيب منهم أجرين وللمخطئ أجر.

وعليه فلا مانع من القول على مسلك أبناء العامة أن يكون سيدنا علي عليه السلام على الحق، وكذلك معاوية وإن كان قد أخطأ، فهو مجتهد وله أجر، وقد وصل بهم الأمر في الخروج عن موازين العقل والمسالك الربوبية، بأن قال قائلهم قتل سيدنا يزيد سيدنا الحسين ريحانة رسول الله ﷺ وسيد شباب أهل الجنة.

فجاءوا بكلمة الإجتهاد، التي لها مواردها ومحالُّ إعمالها، حيث أنها لأصحاب الخبرة والاختصاص في موارد العلم او العمل ليجعلوها لكل صحابي، بما يعم الجهلة والمنافقين، ولكل من هبّ ودبّ، حيث أصبح على مسلك أبناء العامة، بمجرد أن اختار الله تعالى نبيه الأعظم ﷺ جميع الصحابة من المجتهدين، وإن هذا لفضل عظيم من الله، وإعجاز قد حصل بعد رحيل الرسول ﷺ بلحظة واحدة!!

أجل، لعل الحديث الشريف يحذر هؤلاء القوم، الذين فسّروا

كل شيء بتبع الهوى، تاركين مناهج الربوبية والتوحيد والمعارف الإلهية، بإعطاء القدسية لكل الأمة بعد رسول الله ﷺ، حيث أصبح جميع الناس بيوم واحد بفضل الله والمنة مجتهدين، ثم بتبع هذا الفضل والجود صار كل صحابي، ولو كان مخطئاً، له أجر، ولذا فتحت الأبواب لتلاعب المتلاعبين، من الحكام ووعاظ السلاطين ليومنا هذا، ليتلاعبوا بالحق ويسحقوا قيم العدل تحت أقدامهم. أبعدنا الله تعالى وإياكم عن مثل هذه المزالق، والحمد الله رب العالمين.

المحاضرة الثانية:

تفسير سورة الحمد والكلام عن البسملة

السورة مكية، وقيل مدنية أيضاً، لأنها كما قيل نزلت مرتين لأهميتها، وتسمى بفاتحة الكتاب، لأن بها يبدأ الكتاب المجيد، وأم الكتاب لأنها تشتمل على جميع ما جاء في الكتاب كأصول عقائدية وعملية، قد كانت بقية السور شرحاً وتفصيلاً لها، وتسمى بسورة الحمد، لما فيها من الحمد والثناء للمنعم جلّ شأنه، وتسمى بالسبع المثاني لأنها تقرأ في كل ركعة.

والمراد من: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، كما عن علي أمير المؤمنين عليه السلام: «أي أعوذ وأمتنع بالله السميع من الشيطان البعيد الرجيم»، أي المرجوم باللعن والطرد من الخير.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الباء في البسملة إما للإبتداء، بمعنى إني أبتديء بسم الله كل قول وعمل. وليس المراد من ذلك مجرد الذكر اللفظي فقط عند كل قول وفعل، بل بما هو وراء ذلك من إشعار النفس والقلب بقرارة الإيمان، لأن الإيمان فعل نفساني وليس مجرد علم، ومن أشعر نفسه في مواطن القول والفعل إشعار إيقان ويقين، بأن البدء لله بشهود هذا الأمر في محضر ربوبي، ستنقاد لذلك الجوارح.

أو أن الباء بمعنى السببية، أي بسبب إسم الله تعالى، وما له من العليّة والفيض، ولوجهه الكريم أحقق ما أريد من غايات هي الخير والكمال، الذي دفعني تعالى إليه وأراد مني الإستقامة عليه لتصبح العقيدة والعمل مع النفس شيئا واحداً، وهو الخلق الكريم حيث أمر الله تعالى بالتخلق بأخلاقه والتأسي بسيرة الرسول الأعظم ﷺ، بما يتلطف الله تعالى على عبده بألطافه المقربة للطاعات، والمبعدة عن المعاصي، وما ذاك إلا بأسباب إلهية وبإرشاد بواسطة كتابه المجيد والأحاديث وسيرة المعصومين، وبالإلهام الحاصل للعبد مِن ربه، لو وجد منه صدق النية حتى لا يصبح محلاً لوساوس الشياطين.

والإسم: هو ما يدل على المسمى، والمسمى هاهنا هو اسم الجلالة (الله) وبما له من الأسماء الحسنى، التي منها ما هو عام للكائنات كالرحمانية، ومنه ما هو خاص بالأولياء كالرحيمية، حيث كانت مثالاً لبعض أسمائه الجمالية في مواطن اللطف، بما لها من

سعة ليطمئن القلب بأن الأصل هي الرحمة العامة، التي وسعت كل شيء، والخاصة التي كانت لمن جعل نفسه في مهب نسيمها، ليعيش حياة الخلد والنعيم.

وكأن الله تعالى، أراد أن يلفت نظر عبده إلى أن هذا هو الأصل، وما كان من صفات القهر والجبروت. إنما تظهر مظاهرها للإصلاح والتطهير من الرجس، حينما يختار العبد لنفسه سبل الظلمات، ولذا لم يذكر تعالى في هذه السورة التي هي ام الكتاب إلا ما كان من شأن الرحمة خاصة أو عامة.

ودلالة الإسم على المسمى، تارة لتمييز الشيء عن غيره كتسمية هذا بعلي وذاك بمحمد، أو هذا بقلم وذاك بكتاب لتمتاز الأشياء بعضها عن بعض. وتارة يراد من الإسم ما يحدد الهوية جوهراً كقولك زيد إنسان، او كان عرضاً كالبياض والطول. وتارة يراد من الإسم قدر الشيء بلحاظ سعته الوجودية، كماهية، لا بما له من الجوهر والعرض. وذلك ككون الموجود من عالم النور او العقل او المثال او المادة، حيث أن هذه حقائق الأشياء بحسب مراتبها الوجودية.

ومادام الشيء وجوداً إمكانياً محدداً بمرتبته وسعة وجوده، فما له من القدر الوجودي يحدد كونه وحقيقته، فيكون سمة له لدى أصحاب البصائر ذوي الشهود الذين يرون الأشياء بما هي في مواطن تحققها.

ولعل هذه الأسماء، من جملة ما كان مشهودا للإنسان الكامل،

وهو آدم عليه السلام حينما علّم الملائكة الأسماء كلها، وإن كان لا مانع من أن تكون حقائق أخرى من جملة ذلك البيان. وسيأتي بيانها في شرح الأسماء عند التعرض لقصة آدم عليه السلام، وتعليمه الملائكة الأسماء كلها.

لكن الله تعالى حيث أنه صرْف الوجود ومحض الغيب، لا تجري مثل هذه الكلمات في حقه تعالى، حيث أنه لا مرقى لأحد في عالم الإمكان طراً لذلك، لإستحالة إحاطة الممكن بالواجب، فالأسماء الإلهية إذن ذاتاً او صفةً، إنما هي بلحاظ المفهوم إدراكاً بحسب سعة كل موجود إمكاني، ولا مانع من القول من أنها من العلم الحضوري على قدر سعة كل موجود، وكذلك هو شهود لأسمائه في مواطن الفعل أي لكلماته، وهي الكلمات بما لها من الآيات الإلهية، لكن مع غض الطرف عن كون الإسم هو ما دلّ على المسمى فإن الإسم أيضاً ما يعرف به الشيء، بلحاظ كونه وجهاً له.

وبهذا اللحاظ يكون المراد من الأسماء تلك الأسماء الحسنى، التي هيَ وجهه تبارك وتعالى، سواء كانت من أسماء الذات، كالحي والقيوم، او كانت مستفادة من الفعل كالخالق والرازق، وإن كانت جميع الأسماء هي وجه له تعالى. لكن يكون المراد بهذا اللحاظ ما كان له الأولوية بالحكاية كالرحمن الرحيم، بما لهما من السعة حيث ان الرحمة وسعت كل شيء بلحاظ، فكانت لجميع الموجودات. وبما هي للقابل الخاص، بما له من الأهلية في بعض المواطن كالرحيمية التي هي من ألطاف الله تعالى في حق عباده الصالحين.

وإن بعـد الذات والصفـات الكلمات التامـات التي هي آيات الحـق بإطلاق الكلمة فهي الوجـه الإلهي. لأنها جوامع الكلم حيث أنـه مثلاً لو نظر الناظر البصير، إلى سـيد الكائنات محمد ﷺ لرآه المجلى الأتم، لتجليات الحق، بما له تعالى من الأسماء والصفات. حيـث أنـه مظهر عدلـه وحكمته و جـوده وعلمـه و...، فيكون بهذا اللحـاظ هو من مصاديق الإسـم المشـار إليه في البسـملة، وإن كان تجليه ﷺ وظهوره في دار الدنيا كان خاصاً بأوليائه، الذين عرفوه بالنورانية.

وهذا هو شأن الأولياء الذين شاهدوا الحق في دار الدنيا، بكل أسـمائه وصفاته، جمـالاً وجلالاً، أي لطفاً وقهـراً. وذلك حق، لأنه مـن البديهي أنه إذا كانت الحكمة تقتضي ألا يظهر الله تعالى في دار الدنيا، إلا ببعض المظاهر الأسـمائية، وإلا لمـا بقيت دار الدنيا، دار إختيار وإختبار. لأنه لو ظهر بإسم الملك والقهار، كما سيظهر بذلك يـوم الجزاء، فـلا يبقى هناك أي نـزاع بين الحق والباطـل، لأن تلك الـدار هي دار الأنـوار، ودار الحـق. فكذلك بتبع هـذه الحكمة كان ظهـور أوليائه، من الأنبياء والأئمة والصالحيـن، ولا يعقل أن يكون ظهورهم أكثر من سيدهم ومولاهم، وهو الله سبحانه وتعالى.

وبهذا يُفهم أن الإسم الأعظم الفعلي، الذي يجب الإبتداء به، والإستعانة به، هو الإنسان الكامل. ومن بدأ الحياة ومسيرة الكمال، بشـهود هذا الإسـم، بدأ بواقع البركات، وكان سـالكاً سبل العروج، بمسالك الأسباب الحقيقية.

إن فسرنا الباء، بباء السببية، فيكون هذا من أوضح ما يراد، في بسم الله. حيث أن الاسم التام الفعلي، الذي جعله الله تعالى واسطة للتشريع، بل وللتكوين أيضاً، هو سيد الكائنات محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك لقصور في القابل، وهي الممكنات، لا لمانع في الفاعل الجواد. وكذلك يكون الأمر بالنسبة إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام، الذين هم نفس الرسول والرسالة، وسيدة نساء العالمين فاطمة (عليها أفضل الصلاة والسلام)، فهم حقيقة الأسماء.

فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، هو الإسم الأعظم الإلهي، والكون الجامع، والكلمة التامة، التي علّمت الجن والإنس والملائكة، في ليالي المعارج الأسماء كلها، فهو أولى من آدم عليه السلام في ذلك. وقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «عُرج برسول الله، ليكشف الله له سبعين ألف حجاب من النور، وليتشرف به صلى الله عليه وآله وسلم سكان السماوات».

وسيأتي بإذن الله تعالى المراد من كون النور حجاباً.

حيث أنهم بشرف نوره انتقلوا، بعد النقلة الأولى، التي كانت بواسطة آدم عليه السلام، إلى عظيم من القرب والمعارف الإلهية وشهود الأسماء. وكل من ظنّ عروجاً وقرباً وشهوداً للأسماء الإلهية، من غير طريق الإنسان الكامل، كان جاهلاً جهلاً مركباً يرى الظلمة نوراً.

كما وأنه، لابد من الإلتفات إلى أن الإسم، مأخوذ من السمة، أي بمعنى العلامة. ولذا كان الله تعالى رب العالمين، وأصحاب البصائر قد شاهدوه، بكل أسمائه وصفاته، ذاتاً وفعلاً بما له من

الآيـات، كمـا وأنهم عرفوه قبـل ذلك بنفسـه، كما ورد فـي الدعاء: «إلهي بك عرفتك»، و«يامن دلّ على ذاته بذاته».

كمـا وأن الإسـم، قـد يكـون مأخـوذاً مـن السـمة، اي الرفعة والعظمة. ويصبح المراد بأنا نبدأ بتلك العظمة والرفعة. والعلل التي هي واقع السمو، بما للأسماء من سلطان، وللفعل من علل، من عالم النور الى العقل والمثال والطبيعة. ومن تخطى الأسباب المعنوية او المادية في مواطنها كان جاهلاً. وإن اعتبر نفسـه من المتوكلين على رب العالمين، وعليه فيكون (بإسـم الله) من الدعوة الضِمنية لذوي البصائـر، للتدبـر والتأمـل في أسـمائه ومخلوقاته، وعظيـم الحكمة المودوعة فيها لمعرفة مبدعها.

وإذا كان الإسـم، لوحـظ بلحـاظ السـمو لعلـوه تعالـى، ذاتاً وصفةً، وعظيم فعل، فإن ذلك يكون من الدواعي للتأمل، في مراتب هذا السمو، لينتقل العبد منه إلى الشهود والعرفان.

وإن كانـت الذات الإلهية، بما هي هي لا إسـم ولا رسـم لها، ولا مرقـى لأحـد لإدراكهـا، لأنهـا محض غيـب وبطـون. وإن كان بلحـاظ آخـر مـن حيـث الإدراك، والمفهـوم لهـا مـا لا يحصى من الأسـماء الحسـنى، كما وأن لها عظيم الآيات والكلمـات التامات. وكلمـة (اللـه) قد حُذفـت منها الهمـزة لكثرة الإسـتعمال، حيث أن الأصل هو الإله، وأله الرجل يأله، بمعنى عبد وأطاع، او هي مأخوذة مـن وَلِـه، بمعنى مـن تحير فيه العقـول، وتقر بالعجز ان عاشـت في المحضر الربوبي. وهاهنا موطن لمس الفقر الذاتي، وشـهود التعلق

والفناء، وعدم الإستقلالية. فبلحاظ الأسماء شهود، وبلحاظ الغيب والبطون، إقرار بالعجز وتحيّر.

وقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «الله هو الذي يتأله إليه كل مخلوق للحوائج والشدائد، إذا انقطع الرجاء من كل وجه دونه»، والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة الثالثة:

تنبيه هام، وتفسير الرحمانية والرحيمية

أمـا التنبيـه، فإنه قـد يقال إن القـرآن المجيد لعظيـم مقامه، لا يُفهـم منه حتى مـا كان ظاهراً، لكن كيف يمكـن القول بذلك؟ وهو كتـاب الله المبين الـذي أراده هدايـة للعالمين. وهـو القائل تعالى: ﴿أَفَـلَا يَتَدَبَّـرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَـى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾، وهـو القائل أيضاً: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾، وأيضاً: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُـونَ﴾، وأيضاً: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

فكيف يكون بعد كل هذا، لا يُفهم منه شيء أو أنه ليس بحجة، حتى بما له من الظواهر.

وقـد رغّب النبي ﷺ في كثير ممـا ورد عنه في الرجوع الى

القـرآن عنـد مدلهمات الأمـور، فـإذا كان بياناً حتى عنـد مدلهمات الأمور، فكيف لا يكون ناطقاً فيما هو ظاهر من الكلمات؟

وقـد قال النبـي صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «إذا التبسـت عليكم الفتن كقطع الليـل المظلم، فعليكـم بالقرآن»، فهو أيضاً دليل ومرشـد حتى فيما هـو من صعاب الأمـور وعميقها، وقد قال علـي عليه السلام: «ألا لا خير في قراءة لا تدبر فيها».

وهنـاك المتواتر من الأخبـار، الدالة على الرجـوع الى القرآن إبتـداءً، لعرض الأخبـار عليه، وكذلـك فيما لو تعارضـت الأخبار. حيث أنه الأصل في كل الأمور، وذلك خير شاهد على إمكان فهمه، وجعله معياراً لجميع الأمور، سـواء كانت في السـنة أو السيرة، التي تنسـب إلـى المعصوميـن عليهم السلام. ومن هـذه الأحاديث، مـا ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أيها الناس، ما جاءكم عني يوافق كتاب الله، فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله، فلم أقله».

وأمـا ما ورد عـن الأئمة عليهم السلام، بلـزوم العرض علـى الكتاب إبتـداءً، أو عنـد تعـارض الأحاديث، فهي روايات لـم تغب عن أحد لكثرتها، وإنها في موارد علم الأصول من مسالك الفقهاء والعلماء، حينما ترد عليهم الأخبار لمعرفة الصحيح منها من غير الصحيح.

نسبة لا صحة لها

نُسـب إلـى جماعة مـن الإخباريـن، ذهابهم إلـى رفع حجية الكتاب المجيد، وهي نسبة غير صحيحة، إذ لم يذهب إلى ذلك أحد

من الفقهاء، قديما ولا حديثاً، ولا لمسنا في كتبهم ذلك. ولو فرضنا أن أحداً من علماء الإخباريين، كانت ظواهر كلماته يُفهم منها ذلك، فإن إطلاق القول بأنهم يقولون بذلك فيه شيء من عدم التثبت وعدم التورع.

وربما كان من أشد علماء الإخباريين إلتزاماً بمسالك الإخبارية، هو المولى محمد أمين الإسترابادي، ومع ذلك كله، ليس في كلامه ما ينص على ذلك. ومن جملة ما قال: «الصواب عندي مذهب قدمائنا الإخباريين وطريقتهم، أما مذهبهم فهو أنّ كلما تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة، عليه دلالة قطعية، من قوله تعالى، وأن كل ذلك مخزون عند الأئمة، وأنّ القرآن فى الأكثر ورد على وجه التعمية بالنسبة إلى أذهان الرعية، وكذلك في كثير من السنن النبوية. وأنّه لا سبيل لنا فيما لا نعلمه من الأحكام النظرية الشرعية، أصلية كانت أو فرعية، إلا السماع من الصادقين عليهم السلام، وأنه لا يجوز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر الكتاب، ولا ظواهر السنن النبوية، مالم يُعلم من جهة أهل الذكر عليهم السلام، بل يجب التوقف والاحتياط فيها».

ولا يُفهم من كلامه هذا، إلا أن هناك دلالات قطعية في أحاديث أهل البيت عليهم السلام تُعين على فهم الكتاب، وأنّ الكلام فيما لا يعلم من الأحكام النظرية الشرعية في موارد الإستنباط، لا فيما هو من الظواهر، وأن الأخذ بالظواهر قبل الرجوع إلى الأئمة والفحص عن الأحاديث، ضرب من التسارع في الحكم، لا أن القرآن لا ظهور

له أو أن ظهوره ليس بحجة. فليس في كلامه ولا كلام غيره من أكابر الإخباريين، وبالأخص الشيخ صاحب الحدائق ما يدل على صحة هذه النسبة.

وهذا يعني إسقاط القرآن المجيد من الأثر مطلقاً، بحيث يصبح بركة في البيوت لا يمكن الإستفادة منه حتى على صعيد أخذ استخارة، ويصبح قراءة القرآن المجيد، مجرد لقلقة لسان، كعربي يقرأ كتاباً باللغة الصينية، في حين أنه لا شك أن القرآن بإتفاق الجميع إخباريين كانوا او اصوليين، هو الأصل في كل شيء. وإنما يرجع في التفاصيل إلى الأحاديث الشريفة في كل مورد احتاج الأمر الى ذلك، وهذا هو مراد المولى الإستيرابادي، حينما قال من أنه لا يجوز الحكم في مواطن الإستنباط، إلا بعد الفحص عن الأحاديث، واليأس عن وجود المخصص او المبين او المقيد على ما يُستفاد من كلامه.

وكذا ما هو المستفاد من المولى الحر العاملي، في فوائده الطوسية، وفي كتاب القضاء من كتاب وسائل الشيعة. حيث يُستفاد من كلامه، أنه لا يعلم المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، وغير ذلك إلا الأئمة عليهم السلام. وأنه يجب الرجوع إليهم في مواطن الإستنباط للحكم الشرعي، حيث أنه لا يعلم القرآن كما أنزل غيرهم، وأنه لكثرة الإحتمالات والوجوه في الكتاب المجيد، قد يحتج به كل محق ومبطل.

وذلك أيضاً ما يُفهم من كلام أبي جعفر محمد بن يعقوب

الكليني في كتاب الحجة من الكافي، من أنه لم يجمع القرآن كله، ولم يحط به علماً، بظاهره وباطنه سوى الأئمة عليهم السلام. لأن علم المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وما إلى ذلك عندهم، ومجيء كلمة ظاهر لا تدل على ما يدعى في المقام، لأنها للإشارة الى مواطن الإستنباط، وكناية عن تمام الفهم، ودفع المؤمن للحيطة وعدم التسارع في الحكم، ما لم ييأس من البيان الوارد من قبلهم عليهم السلام، حيث أن كلامهم هو البيان والشرح لما أُجمل أو أُبهم من القرآن المجيد. وذلك كلام لا ريب فيه، لكن ليس معناه أن القرآن لا ظهور فيه او أن ظهوره ليس بحجة.

وكذا ما يستفاد من كلام السيد نعمة الله الجزائري، وهو أيضا من أكابر علماء الإخباريين، فقد قال: «ذهب المجتهدون (رضوان الله عليهم)، الى جواز أخذ الأحكام من القرآن، وبالفعل أخذوا بالأحكام منه، وطرحوا ما ظاهره المنافاة، او أوّلوه. ومن ثم دونوا كتباً في شأن آيات الأحكام، واستنبطوا منها ما هداهم إليه إمارات الإستنباط. وأما الإخباريون فذهبوا الى أن القرآن كله متشابه بالنسبة إلينا، وأنه لا يجوز أخذ حكم منه، إلا من دلالة الأخبار على بيانه». وظاهر كلامه أيضاً، أن الحديث في مواطن الإستنباط للأحكام الشرعية، لا ما هو ظاهر من الدلالات في مواطن الظهورات.

وأما كلام صاحب الحدائق، فهو واضح الدلالة جداً، حيث ذكر أولاً كلام الشيخ الطوسي، وجعله القول الفصل، بعد نقل الروايات المتعارضة، ثم اختار ما عليه الشيخ الطوسي في المقام، من جمع

الأخبار. ومن المعلوم أن صاحب الحدائق من اكابر علماء الإخباريين، وهاهو يوافق الشيخ الطوسي حيث يستفاد من كلماتهم جميعاً، أنهم يريدون القول بأنه لا يجوز الإستقلال بالعمل بالقرآن، في موارد الشبه وآيات الأحكام، إلا بعد الرجوع الى أحاديث أهل البيت عليهم السلام، لأن روايات أهل البيت هي عدل القرآن وأنها الثقل الأصغر.

ولكن ليس معنى ذلك أنه لا دلالة للقرآن الكريم ولو بحسب ظواهره.

ومن أضاف الى ذلك حديث الثقلين، الذي جعل الأخبار الواردة عنهم الثقل الأصغر، وكذلك ما ورد من الأخبار المتواترة الآمرة بالعرض على كتاب الله، وهي روايات لم تبعد عن ناظر أحد من العلماء إخباريين كانوا او أصوليين. فإنه بعد ذلك كله لا يبقى لأي شخص أدنى تأمل، على أنهم لا يريدون إلا ما قلناه في المقام، حيث أنه يستفاد من حديث الثقلين، والروايات الآمرة بالعرض على الكتاب، أنه لابد من التمسك بالأمرين، في عرض واحد لأن بذلك سبيل النجاة.

ومن المعلوم، أن الكلام عن التفسير، وهو لا يشمل موارد الظهورات، حتى تكون محلاً للبحث.

ومن المعلوم أيضاً، أن المراد من التفسير، كشف مراد الله تعالى من الفاظ الكتاب المجيد، بجمع آياته أو بالاستعانة بالأحاديث أو العقل وموازين العلم، بقدر الطاقة البشرية. وأين هذا من القول بعدم حجية ظواهر الكتاب أو عدم ظهورات له؟

فإذن، لا ريب أن ظواهر القرآن حجة كأي ظواهر أخرى.

وإن التسارع في إلقاء التُهم بدون تورع وشهود، لقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾[1]، وبالأخص إذا كان هذا التسارع في إلقاء التهم يرجع الى أكابر علمائنا، وكأن المتكلم يتكلم عن جهّال. وربما لا يكون مستحقاً أن يكون أحد طلابهم، سواء كانت مثل هذه التهم النابعة عن البساطة، تنسب إلى علمائنا الإخباريين أو الأصوليين -عصمنا الله وإياكم- من مثل هذه التسارعات، ولا جعل خصمائنا يوم القيامة أكابر علماء الشيعة، الذين خدموا الشريعة، وتحملوا أشد الظروف صعوبة، وخطراً في ظلمات الدهور وجور الزمان، من أجل إعلاء كلمة لا إله الا الله، محمد رسول الله، وولاية أهل البيت عليهم السلام.

وهب أنه على الفرض والتقدير، قد ثبت أن أحد علماء الإخباريين، يقول بعدم ظهور للقرآن،أو بعدم حجية ظهوره، فكيف يجوز إطلاق الكلمات بالنسبة إلى كافة الإخباريين؟

تفسير آية البسملة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

البسملة، جزء من القرآن من كل سورة، إلا سورة البراءة. خلافاً لأبناء العامة الذين أرادوا القرآن جميعاً أن يكون بحكم سورة البراءة.

---

(١) الصافات ٢٤.

وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «سرقوا أكرم آية في كتاب الله، وهي بسم الله الرحمن الرحيم». وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما لهم قاتلهم الله عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنها بدعة إذا أظهروها، وهي بسم الله الرحمن الرحيم».

﴿الرَّحْمَن﴾ على وزن فعلان، صيغة مبالغة تدل على الكثرة، فهي تناسب الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء، وعمّت عالم الإمكان طرّاً، بما فيه من نعم وجود على البشرية أيضاً.

و﴿الرَّحِيم﴾ على وزن فعيل، صفة مشبه تدل على الثبات والبقاء والدوام، ولذا ناسبت الرحمة الخاصة التي هي من حق الصالحين من عباد الله، وهي النعمة الدائمة الباقية، التي هي من شأن المؤمن وتفاض عليه في الدنيا بالتوفيق والإرشاد وجعل المؤهلات ورفع الموانع. وفي الآخرة هي النعيم والقرب والرضوان الإلهي. ولذا كانت من شأن المتقين، لأنها من الألطاف الإلهية على كل مؤمن ومؤمنة، بما لكل من مقام بحسب عقله وطهره وعلمه وخلوص نيته وقيامه بالعمل الصالح في دار الدنيا بحسن الإختيار. حيث يأخذ به إلى منازل الرضوان.

وليس هذا الإختلاف في الجود من قبل الجواد المفيض، بل لوجود المانع من قبل القابل، إذا تحققت الحجب بينه وبين ربه، والضياع الذي يمنع من نزول الألطاف الإلهية، وإلا لأصبحت الرحمة الرحيمية كالرحمانية، عامة لجميع الجن والإنس أيضاً.

وما ورد عن النبي عيسى عليه السلام، من أن الرحمن رحمان

الدنيـا، والرحيم رحيم الآخرة، لا يحـدد الرحمة الرحيمية بالآخرة، لأن توفيق الدنيـا بالمتقين بالرحيمية، هو الذي يجعلهم أهلا لها في دار الآخـرة. وأي رحمـة هي أعظم من هذه، فهـي إذن بلحاظ كونها فـي الأمـور الأخروية نتاجاً، وفي الدنيوية توفيقـاً ليحصل النعيم في دار الآخرة والقرب.

و(الرحمـة)، لغـة مـن رحم رحمـة، أي رقّ له، وشـفق عليه، وتعطـف عليـه، وغفـر لـه. وهـي رقـة القلـب المفضيـة للإحسـان والمغفـرة، والرحمن والرحيـم من يرحم، فهي صفـة إنفعالية وتأثر خـاص يلـمّ بالقلب عند مشـاهدة من يُفقـد، او يحتاج إلـى ما يتم به أمره، فيبعث الناس إلى تتميم نقصه ورفع حاجته. إلا أن هذا المعنى بحسـب التحليل يرجع الى الإعطاء والإفاضـة لرفع الحاجة، وبهذا المعنى يتصف به الله تعالى.

أجـل رزق كل موجود بما به قوام وجـوده، وكماله اللائق به. فالرحمة الرحمانية تعم جميع الموجودات، وتشمل كل النعم، وأما الرحمة الرحيمية، فهي مـن خصائص المتقين، من التوفيق والوحي والإلهام، حتى تصل إلى إرسال الملائكة للأنبياء وتحقيق المعارج، ومـن ثم ما كتـب الله لأوليائه مـن نعيم ورضوان وقـرب في جنات الخلود.

وعبّر آخر بلسـان عرفاني، بـأن الرحمن هو المفيض للوجود، بحسب ما تقتضيه الحكمة، وتحتمل القوابل على وجه البداية، فهي عامـة وسـعت كل شـيء ممكن. والرحيـم هو المفيـض للكمالات

المعنوية المخصوصة بالنوع الإنساني بحسب الآخرة. ولذا قيل رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، بالصورة الإنسانية الكاملة التي هي مظهر الذات الإلهية. والإسم الأعظم كما ورد في الحديث إن الله خلق آدم عليه السلام على صورته.

المحاضرة الرابعة:

تفصيل آخر في الرحمن والرحيم

﴿الرَّحْمَن﴾

أشار تعالى بواسطة كلمة الرحمن، إلى الرحمة المطلقة الإلهية، التي وسعت كل شيء، وهي ظهور الذات في تجليها في مرتبة الأحدية. وهو أول ظهور للحق تعالى، المعبر عنه بالوجود الظلي الواحد البسيط الصادر من الواحد تعالى، الذي به طرد العدم عن هيكل عالم الإمكان. وهو وجهه تعالى الذي لا هلاك له، إن فسرنا الوجه بالفعل، لا بالصفات.

ولا مانع من أن يكون وجهاً فعلياً، بأزاء ما يمكن أن يكون وجهاً لله تعالى، بلحاظ صفاته فهي وجوه يشرق بها على هياكل الممكنات، يُعرف بها معرفة تكوينية او علمية على اختلاف مراتب

المدركين. وإن كانت الرحمة بما هي صفة إلهية ترجع الى الذات لا إلـى الفعل، وتسـمى بـ(الفيض الأقدس) في مقابل الفعل المسـمى بـ(الفيض المقدس). فمن شـاهد الرحمة الفعلية كانت له آية للأخذ به لشهود الرحمة الذاتية.

وإن الرحمة التي وسعت كل شيء، قد يُعبر عنها أيضا بالوجود المنبسـط او النفس الرحماني. وكل مـا كان وجوداً كان نوراً وخيراً، ولو افترضنا شـراً في موطن من المواطن، فإنما يكون شـراً بالعرض لا بالـذات، لأنه تعالى أحسـن كل شـيء خلقه، ولكن هـذه الرحمة المطلقـة، إنمـا هـي لحـاظ الفيض قبـل التعيّـن، أي قبـل أن تصبح الممكنـات بحسـب قابلياتها، في عالم النـور او العقل او المثال. أو المـادة متعينة تعيناً خاصاً، وإن هذه الرحمة المطلقة البسـيطة التابعة للمشـيئة الإلهيـة، هي الصـادر الأول الذي لا يُعقـل، أن يفترض في حقه شـرط، أو يُفرض لوجوده مانع، لأن مـا يفترض أنه محتاج إلى تحقق الأسـباب والمعـدات والمؤهلات وارتفـاع الموانع، إنما هو من شـأن عالم المادة، لا ما كان وجوداً ظلياً طرد به الله تعالى العدم عن سَـاحة الإمكان، ولا مـا كان مجرد إمكانه كافيـا لتحققه، بفيض وحكمة العزيز القدير، كعالم المجردات.

ولما كان هذا الفيض متعلقا بالمبدأ تعالى، اللامتناهي وجوداً، وهـو كذلك متحرك نحو المبدأ اللامتناهي، سـيراً تكاملياً، كان بهذا اللحـاظ لأنه الرشـحة الأولـى، لا مزيد يفترض فيه مـن حيث أصل التحقـق، لأنه ظهـور وحدة الذات الإلهية، التـي هي محض الجود،

بمـا لها مـن الفيض. فهـو وإن كان على قدر صفحـة عالم الإمكان، بلحاظ الرشـحة الأولى، إلا أنه من حيث مسيرة الكمال، بما لأفراده مـن التعينات، هو قابـل للمزيد والتكامل، بلحاظ مبـدأه اللامتناهي وغايته اللامتناهية.

ولـذا لا يُعقـل توقـف الكمـال والعـروج إلـى المبـدأ تعالى، فمسـيرة الكمـال للممكنـات لا تتوقـف عنـد أي عالم مـن العوالم، بعـد هـذه النشـأة. فلـذا نقـول إن الجنان سـتتبدل الى جنـان أخرى، وهلـمّ جرى الى مالا نهاية له. وكذا سـتكون السـماوات والارضين غير هـذه السـماوات والأرضين، وغيرهـا أيضاً سـيتبدل ويتغير إلى مـالا نهاية لـه، وكذلك يكون عـروج المدركات من الكائنات، إنسـاً وجنـاً وملائكـة، بما لا وقفة فيه، وسـيكون التطلع الـى الأفق المبين تحت الصُقع الإلهي، أكثر إتسـاعاً وأشد سرعة في العوالم الأخرى، وكلمـا ازداد القـرب وانتهت حجب الظلمات لعالـم المادة، وكانت الحجب نورانية كما هو شـأن العوالم الأعلى، سـيكون الممكن أكثر فأكثـر اتسـاعاً وعروجـاً ويكـون العطاء مـن جانب المبـدأ أعظم في ميادين عالم النور، تسـبيحاً وتقديسـاً في بحور المحبة، حيث طرب العشاق في المحضر الربوبي، وهيامهم في شهود تعاكس المرائي في بحور الأسـماء الحسنى، ولذا قال تعالى مشـيراً إلى هذا الكمال غير المتناهي، بحسب كل عالم من عالم المادة ومجراتها الى عالم المثال والعقل والنور، بقوله: ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾[1].

---

(١) الذاريات ٤٧

فـإذن بلحاظ التجلـي الأول، لا مزيـد لأنه الوجود المنبسـط على هياكل الممكنات، الذي به طرد العدم عن عالم الإمكان، وانما يكـون المزيد والسـعة اللامتناهية بعـد التعيّن، بحسـب كل موجود بما يسـتحقه، بمقتضى الحكمة والسـبع والسـبعين المشار إليها من السـموات والارضيـن، وغيرها بمـا يعود الى العوالـم كلها، لا بقيد عالـم المـادة هي اللانهايات، مـن حيث المبدأ والغاية المشـار إليها بـ(إنـا لله وإنا إليـه راجعون)، أو من حيث القابليـة للانهاية والمزيد كما هو شأن الأعداد القابلة لذلك.

وبالجملة، لو لوحظ الحـق تعالى من حيث الذات والصفات لحكم العقـل، بحركة جوهرية لجميع الكائنات بلا اسـتثناء لتعلقها بمبـدأ وغايـة غير متناهية، سـواء كانت من عالم المـادة او المثال او العقل او النور. وإن لوحظ الشـرع فهـو كذلك من حيث الدلالات، مـن تبدل السـموات والأرضين، ومن العدد المشـار إليه بالسـبع أو بالسـبعين، وهـو القبول للازديـاد اللامتناهي، كما هو شـان الأعداد القابلـةِ لذلـك. كما وأنه قد أشـار تعالى لذلـك قائلاً: ﴿**قُـلْ لَوْ كَانَ الْبَحْـرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّـي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَـدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾[1].

إذن الرحمن صفة ذات تشـير الى مشـيئة، بها تحققت الرحمة المطلقة الفعلية الواحدة، المنبسـطة على جميـع هياكل الممكنات، المعبر عنها بالفيض المقدس، الذي طرد العدم عن سـاحة الإمكان،

---

(١) الكهف ١٠٩

قبل التعين، ثم كان تعيناً بحسب مراتب عالم الإمكان، قرباً وبعداً. وبساطة وتركيباً وكمالاً فوق جميع المراتب جميعاً بواسطة الكلمات التامات الإلهية، التي بها جوامع الكلم، وهي الانسان الكامل على اختلاف مراتبه الجامع لشتات عالم الامكان. وهو اسم الله الأعظم الفعلي صاحب الولاية المطلقة تكويناً وتشريعاً الذي، علّم الملائكة الأسماء جميعاً، ولم يتعلم منها على الرغم من مقامها الرفيع وسجدت له، ولم يسجد لها، وعلى رأس الجميع ظهور الوحدة الجامعة للأسماء، وهي الحقيقة المحمدية التي هي قرآن عالم الامكان في مقام ظهور الأحدية، وهي فرقان هذا العالم في مرتبة الواحدية، والكثرة الأسمائية الإلهية فهو الإمام المبين.

﴿الرَّحِيمِ﴾

وهو المفيض للرحمة المعنوية الخاصة، وهو كما تقدم على وزن فعيل، صفة مشبهة تدل على الدوام والثبات، وترجع إلى اللطف الإلهي، بحال عباده المتقين برفع الموانع عنهم، وتحقيق الأسباب والمعدات والمؤهلات لهم، بتبع سعة العقل وخلوص النية وطهر النفس، والاستقامة على الطريق بهدي إمام مبين. ومن هذه النعم الرحيمية أيضاً الإلهام على نفوس الأولياء، في مقابل من كانوا لضعف نفوسهم أو لحجبهم الظلمانية، محلاً لوساوس الشياطين، وان شهود أولياء الله تعالى الذين لا تخلو الأرض منهم.

وقد كان الخضر عليه السلام مثالاً لهؤلاء، وكذلك هو الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، الذين هم قوام الأرض لإصلاحها باطناً، فإنه أيضاً من

الرحمة الرحيمية لمن كان أهلاً لشهودهم، لكن من يدّعي الشهود كاذب، ومن يشاهد لا يدعي، حيث قال ﷺ: «ألا ومن ادعى رؤيتي بعد غيبتي هذه، فكذبوه»، فالمشاهد الزكي الطاهر يشاهد لعظيم مقامه، ولا يريدها كمالاً بأعين العامة من الناس. والمدعي للشهود يريدها مكانة اجتماعية، وكسباً بشرياً، فهو دجال كاذب.

ومن هذه الرحمة، التي هي بحال المتقين الوحي، وإنما يكون على أهله لمقامهم ولإحيائهم الآخرين، ومن ذلك نزول الملائكة، وتحقق المعارج المعنوية، أو المعنوية والمادية معاً، كما كانت للرسول الأعظم ﷺ، حيث أن القرب المعنوي أكثر سعة، لأن الإنسان الجامع لشتات عالم الإمكان، يصبح مظهراً للأسماء والصفات الإلهية، ومن أحاط بالعالم الأعلى كان محيطاً بالأدنى، بلا ريب.

وليس الاختلاف في الجود رحمانية ورحيمية، من قبل الجواد الكريم، بل إنما هو لوجود المانع من قبل القابل إذا تحققت الحجب بين العبد وربه، او يكون لقصور ذاتي يرجع لحكمة وعلم أزلي، يرتبط بالقضاء والقدر الإلهي، الذي هو كما تشير الروايات بحر عميق نهينا نهياً إرشادياً عن الخوض فيه، لأنه يرجع إلى المشيئة الإلهية والعلم والحكمة، التي هي فوق إدراكات المدركين، إلا من خصه الله تعالى بشيء من ذلك، كما نهينا أيضاً قبل ذلك عن التفكر في ذات الله تعالى، إرشاداً لعدم إمكان إحاطة المحدود باللامحدود.

والرحمـة لغة، كما تقدم، وإن كانت مـن رحم رحمة، أي رقّ له وشـفق عليه، وهي رقة القلب المفضية للإحسـان، وهي بحسـب الممكن حالة انفعالية وتأثر خاص يلمّ بالقلب، عند مشاهدة شيء او احتياج. إلا أن هذا المعنى بحسب التحليل العقلي هاهنا، لا يناسب الحـق تعالى، بل يرجع إلى الإعطاء والإفاضـة لرفع الحاجة، وبهذا المعنـى يتصف به تعالى. فإذن هو من الفعـل لا الانفعال هاهنا،كما وإن علمه تعالى فعلي، وليس بانفعالي. والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة الخامسة:

تفسير (الحمدلله) من سورة الفاتحة

كلمة الحمد، بجذورها ومشتقاتها وردت في القرآن المجيد (ثلاثة وستين مرة)، والألف واللام للجنس والإستغراق، بمعنى ان كل حمد، هو عائد لله تعالى، ولا حمد حقيقة لغيره. لأن كل حمد لغيره بالدقة والمآل عائد إليه، فهو المالك لجميع الحمد، وحقيقة الحمد إظهار الصفات الكمالية للمحمود، بقصد التعظيم فيكون الحامد يعيش التسبيح والسير والسلوك في مدارج الكمال في الذات والصفات والفعل الإلهي، بما فيه من عظيم الصنع.

وإن كانت حقيقة الحمد، بإطلاق الكلمة لا تكون إلا من الله تعالى لنفسه، ثم في عالم الإمكان بتمام واقعها الممكن، من سيد الكائنات محمد ﷺ لربه، لأنه الكلمة التامة لظهور الحمد.

والحمـد إنما هو بأزاء الفعل الجميل الإختياري، والله تعالى قد خلق كل شـيء بعلـم واختيار، بما فيه مـن النعم والصنـع الجميل. فيحمد على ذلك، ولو بنحو الإجمال، لعجز البشر وكل كائن عن حمده على نعمـه تفصيـلا. لأن نعمه لا تحصى، لأنها تابعة للـه تعالى اللامتناهي ذاتـاً وغايـةً، وهـو تعالـى كل يـوم في شـأن جديـد، بما له مـن الأيام الربوبيـة. وثانيـاً لأن الإنسـان غير قادر علماً علـى معرفتها بما لها من النعم الظاهرة والباطنة، وبما عليه الإنسان من العلم المحدود، لأنه ما أوتي من العلم ليس إلا قليلاً، ونقطة في بحر جود الحق تعالى.

إذن الحمد، هو الثناء على وجه التعظيم لله تعالى، أما الجميل الذي لا صنع للشـخص فيه، فالثناء به يسـمى مدحـاً، لا حمداً كمن يمدح امرأةً لجمالها أو لؤلؤة كذلك.

وفي الحمد، إشـارة الـى توحيد الذات والصفـات والأفعال، فهـو إظهار صفات الكمال بمـا فيها بقصد التعظيـم، فيكون الحامد يعيش تسـبيحاً فـي منـازل الجمال والجـلال. والحمد يكـون قولياً وفعلياً، بإشعار الضمير بالمدح والثناء لمن له واقع الحمد. والحمد لله تعالى لشكر المنعم واجب، والعقل حاكم بذلك، على قدر سعة كل عاقـل. وسـيد الحامدين هـو محمد ﷺ، لكـن حقيقة الحمد ممتنعة على الممكنات.

والحمد، يتوقف على أمرين، على عبد أدرك بعقله عظم الحق تعالى، فجاء بعد طهارة النفس، ليقف بين يدي مولاه خاضعاً يحمل روح التعظيم والإجلال والتقديس، ليسـير مسبحاً في مراتب الذات

والصفات والفعل، بما هو من شأن المولى تعالى.

وثانياً، التأكيد على كون الحمد لله تعالى حصرياً، فيه تعريض لـردع الحامدين للأصنـام والأوثان او أرباب الأنـواع. بناءً على انها ليسـت الملائكـة المدبرات أمرا بإذن الله تعالـى، إذا نظر إليها العبد بنحـو مـن الإسـتقلالية، او أي محمـود لوحظ بنحو الإسـتقلال، لا بنحـو محـض التبعية. حيث ان ذلـك لا مانع منه لو أعتبر سـبباً بإذن الله تعالى، ولو كان الملحوظ بنحو الاسـتقلال حاكماً، بل ولو كان نبيـاً فإنـه أيضاً من المحرمات، فضـلاً عن كونه وثنـاً أو صنماً، ومن المعلوم أن الألف واللام تدل على الحصر.

وبالجملـة، المـدح ذكر المحاسـن، وهـو لا يسـتلزم المحبة للممـدوح، وهـو أعم مـن الحمد، فيقـال حمدت فلاناً، لـو مدحته لكرمه، ويقال مدحت اللؤلؤة. فالإنسـان قد يمدح من لم يستفد منه لمكانتـه، وقـد يمدح شـكلاً للإعجـاب به، وقد يمـدح من لا يحب كما قلنا، ككثير من الشـعراء والعلماء المتملقيـن المتزلفين للأمراء والسلاطين، وقلوبهم خالية من الحب لهم، يمدحونهم لرجاء نعمة، كما وأنه قد يكون المدح لدفع الضرر خوفاً منهم.

وأمـا الشـكر، الذي هـو واجب عقـلاً، فإنمـا هو بـإزاء النعم الواصلـة للشـخص نفسـه، وبهـذا اللحـاظ هـو أخـص مـن المدح والشـكر، إنما هو بـإزاء النعم لا الصفات. فنحن لا نشـكر زيداً لأنه يتصف بالعلم. ولذا يقال الشكر خاص، والحمد عام. حيث قد يُثني الإنسان على من أنعم عليه، او على من له من النعم، ولو على غيره.

وما نحن فيه من الحمد، إنما هو بأزاء النعم، التي لا تحصى سواء كانت عائدة إلينا او لغيرنا. ولذا يكون مورده أعم من الشكر، ويقال إن تكرار الحمد يقال له ثناء.

الشكر والحمد في الآخرة

قد يقال، كيف يكون ذلك والآخرة ليست دار تكليف؟

فنقول أولاً، الآيات في ذلك كثيرة وواضحة، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾[1]، ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

وثانياً، التكليف مأخوذ من الكلفة والثقل، وهناك -أي في دار الآخرة- الحمد للهيام والشوق، لمزيد من الكمال والسعي للعروج والقرب، بلا حجب ظلمانية نحو الكمال اللامتناهي بحجب نورية. فإذا تجاوز الإنسان حجاباً، دفع به ذلك للشوق الى ما هو أقرب منه. ولذا تكون العوالم الأخرى اولى بتحقق الحمد فيها لتجلي الحق تعالى لأوليائه، بلا أي حجب ظلمانية حيث يكون السلوك، هياماً وغراماً وشوقاً نحو اللانهايات.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(الرب) هو المربي والمدبر للأمر. و(العالمين) جمع عالم على اختلاف مراتب العوالم الطولية من عالم النور الى عالم العقل

(١) سورة فاطر ٣٤.
(٢) سورة يونس ١٠.

والملائكة الى عالم المثال والبرزخ الى عالم الشهادة والطبيعة، كما وأن كل عالـم أيضـا يكون عوالـم متعددة، فيقال في عالم الشـهادة، وهو عالمنا المادي عالم الإنسان وعالم الحيوان وعالم النبات.

وهاهنا أي في مسـألة الربوبية مزالق الأقدام، حيث أن منكري الفطـرة على طـول التأريخ هم قلائل من البشـر، الذيـن أنكروا مثلاً أصـل الصانع او الملكيـة، او دعوا الى عدم الزواج، او إلى إنكار أي أمـر فطري آخر، حيث أن من أنكر فطرة هي واقع الكيان الإنسـاني، حكم على نفسـه بالهـلاك، قبل أن يحكم عليه، بذلـك من قبل غيره كالشـيوعيين العقائديـن، الذيـن أنكروا وجود الصانـع، أي المبدأ، وأنكـروا الملكيـة مثـلاً، وادّعوا أنها ناشـئة من الحضـارات. وأنهم سيسـيرون بالبشرية سيراً يأخذ بهم أولاً إلى الاشتراكية، ومن ثم الى الشيوعية، ليعيش الناس كل شيء، لكل أحد مبشرين الأمم، بحسب دعواهـم بفـردوس، ما برحوا يبشـرون بـه، في عالـم أوهامهم ونوم غفلتهـم، حتى وجدوا أنفسـهم هالكين. فانهاروا فـي كل مكان بتبع انهيار سيوفهم الدموية، وضعفها، وتكذيب أنفسهم بأنفسهم.

حينمـا وجدتهـم الشـعوب بعـد السـلطة، يعيشـون القصـور الحمر، والناس تعيش الفقر والمأساة، وأن الحزب قد أصبح مالكاً، والشـعب قـد أصبـح أداة ذليـلاً بأيديهـم. وهكـذا النصـارى حينما ادعـى البعض منهم أن الزهـادة والرقي المعنوي. إنمـا يتحقق بترك الزواج، فساقوا بذلك حتى كنائسهم الى الانحراف، فضلاً من دعوة الآخريـن للطهر، حينما أنكروا فطرة، هي في أعماق الضمير، حينما

كان قوام البشرية وأنسها وسكنها، واستمرار بقائها على الزواج. وكون النساء شقائق الرجال يكمل بعضهم بعضاً. ولذا لم تكرس الشرايع السماوية على الهجمة على منكري الفطرة، لأنهم قبل ان يبدوا خطأهم او زيفهم للآخرين، هم من الداخل يحكمون على أنفسهم بالهلاك. وإنما أكدت الأديان على ردع المنحرفين عن الفطرة، حيث يكون وقوع الشبهات.

وهاهنا تكمن الضلالة والغواية، التي تجد لها الكثير من الأسماع الصاغية لمصلحة او جهل، كالقول بتعدد الأرباب والشرك، كما أصيب به بعض الفلاسفة، والكثير من الأمم التي راحت لتعبد الأوثان والأصنام. وربما أشركت من حيث لا تعلم، كالذين أشركوا مع الله تعالى ذاتاً أو صفةً غيره، فطلبوا منهم السعادة والجاه والمقام، فعبدوهم من حيث لا يشعرون، وان كانوا هم من الموحدين. وذلك أنه حتى ولو كان الشخص يتبع عالم دين بلا عقل ولا معرفة، فإنه يكون قد عبده، كما قال تعالى بالنسبة إلى عوام اليهود والنصارى: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾[1]. وكذلك هو حكم عوام الشيعة والسنة، إذا اتبعوا علمائهم، بلا وعي ولا معرفة، وهكذا هم أغلب الناس، حيث أن هذا قد عبد المال، وآخر قد عبد الجاه والمقام.

فالله تعالى في هذه السورة، يؤكد على الإنسان المؤمن، الذي يقرأ هذه السورة كراراً، في كل يوم بأنه هو رب العالمين، الذي بيده

---

(١) سورة التوبة ٣١.

مقاليـد الأمور، تعريضاً بالمشـركين، حيث أن الانحراف قد يسـوق إلى هذا الحضيض. والحال أن الشخص، ربما كان يرى نفسه يعيش صواباً، فإن مشـركي قريش كانوا يرون أنفسـهم على ما هم عليه من الضـلال والغواية، من اتباع شـيخ الأنبيـاء إبراهيم عليه السلام، الذي كان صرخـة ضد الوثنية وعبادة الأصنام. وإذ بمن ينسـبون أنفسـهم إليه، أصبحوا عبدة أوثان وأصنام.

فهذه قاعدة عامة، تشـمل جميع البسـطاء من البشر، ولو كانوا مـن أتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإلا فاليهـود والنصارى ما عبدوا علمائهم، وإنما انقادوا لهم جهلاً، لتهاون في دين، وهو شأن كل من لم يتأمل، فـي قولـه صلى الله عليه وآله وسلم: «إعرفـوا الحـق تعرفوا أهلـه»، وقول الإمـام علي عليه السلام: «إن الحـق لا يعـرف بالرجـال، إعرفوا الحق تعرفـوا أهله». حيـث يحصل الإنحـراف عن منهج الأنبياء، شـيئاً بعد شـيء، حتى تبتدع الأمم لأنفسها مذاهب، هي عين الشرك، وهي تظن أنها تعيش واقع الشرايع السماوية.

وقـد ورد فـي الأحاديـث، حتـى بالنسـبة إلى أتبـاع آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الـذي هو مذهب الحق، فضلاً عن المنقلبين على الأعقاب، من أتباع بقية المذاهب الإسـلامية. أنه إذا جاء الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، يقول له الكثيـر من الناس: «يا بن رسـول الله، هل جئـت بدين جديد؟»، كل ذلـك لانحراف الأمـم عن مناهج أنبيائها، لتهـاون في الدين. وذلك واضـح فإن النـاس يطلبون دنياهم فـي كل يوم، أكثر مـن ثمانية إلى عشـر سـاعات. في حين أنهـم لا يجعلون لأنفسـهم، حتـى في أيام

العطلة ساعة او ساعتين، لمعرفة المناهج الربوبية، كتاباً وسنةً وسيرة للرسول وآله والأولياء الصالحين، حيث ينبيء ذلك على أن الناس، وإن ادعوا وتظاهروا بالدين، أن الغاية الحقيقية المتبعة، أساسا هي الدنيا. ولذا بذلت لها الأعوام وتبذل، وإن الآخرة بما فيها من النعم، غاية بالتبع، وربما كانت غاية وهمية لدى البعض، لم تكن قرارة نفس.

كل ذلك تصديقاً لما قال الإمام الحسين عليه السلام: «الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم»، وهكذا هو واقع الأمم، وإن اختلفت العناوين، بالانتساب الى إبراهيم او موسى او عيسى او يحيى او محمد (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، داعين الله أن يخرجنا من نوم الغفلة قبل لقائه، إنه أرحم الراحمين.

المحاضرة السادسة:

تفسير ﴿مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين﴾

قد تقدم تفسير الرحمن الرحيم، في تفسير البسملة، فلا نعيد.

وأما بالنسبة إلى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، فالمراد منه المقيم ليوم الدين، أي ليوم الجزاء، والحاكم فيه والقاضي فيه بالحق والعدل، وهو يوم القيامة. وخصّ بالذكر لأنه لا ملك لأحد ظاهر فيه. وقد قريء أيضاً ملك يوم الدين حيث يظهر الله تعالى للخلائق طراً، بإسم المالك المهيمن، والملك القهار. بما للملك والمالك من حقيقة، هي القيومية وسقوط جميع الاعتبارات والملكيات حيث تكون المالكية. والملك الحقيقي لا الإعتباري، وحيث يكون واقع السلطان والهيمنة لله تعالى متجلياً، عندما ينكشف الغطاء، ويصبح البصر حديداً، ويوم الدين هو يوم الجزاء والحساب.

وله أسماء عدة، وردت في الكتاب المجيد، كيوم التغابن مثلاً.

فإذن لا مانع من ذكر هذا الإسم، او هذا النعت بالخصوص، مع أن الله تعالى هو المالك والملك للكون، سواءً في ذلك أمس او اليوم او غداً، بلحاظ أنه لا ملك ولا سلطان لأحد غيره، يكون له تحقق او ظهور في ذلك اليوم، وعندها يقول تعالى بعد انكشاف الغطاء: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾[1]، فيجيب الجميع، وهم خاضعون مستسلمون لواقع الأمر، على الرغم من كون الكثير قبل ذلك كانوا من الغافلين، قائلين: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[2]، أو هو تعالى من يجيب، من بعد ما يهيمن الصمت على المحشر، لهيبة الله تعالى جبار السموات والأرضين، قائلاً: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[3]، حيث يتجلى للجميع أن الأمر كله جزاءً وحكماً وعفواً وشفاعةً وتعذيباً، لله عندما يصبح الجميع يلمسون فقرهم الذاتي، وهيمنة الحق وقيوميته، وهم خاضعون مذعنون راجون ثوابه وعفوه، وخائفون من أخذه بعدله.

أجل، يكون الظهور في ذلك اليوم لجميع الأسماء والصفات، قهراً ولطفاً، وإن كانت صفات القهر والجبروت أكثر ظهوراً، بخلاف ما كان عليه تعالى في دار الدنيا، حيث كان الظهور للرحمة، لغاية الإختبار، فتكون الهيمنة التي هي تأخذ بالقلوب. وبالأخص في حق

(١) سورة غافر ١٦.
(٢) سورة غافر ١٦.
(٣) سورة غافر ١٦.

الذيـن كانوا قبـل ذلك بعيدين عن شـهود المحضـر الربوبي في دار الدنيا. وإلا فأولياء الله تعالى، وهم في دار الدنيا كانوا قد عاشوا هذا الشـهود، ولذا لا يحزنهم الفزع الأكبر، حيث أنهم يومئذ بمعزل عن الخلائق، لطفاً من الله تعالى. حيث أنه قد أخذ على نفسه لطفاً بحال أوليائه، ألا يجمع عليهم خوف نفسـه فـي دار الحق، وخوف أعدائه في دار الدنيا، وهو أرحم الراحمين، فأولياؤه يعيشـون السـكينة، بل السرور، وهم من فزع يومئذ آمنون.

وإذ بجبابرة الأرض وشياطينها، يومئذ مهطعين أذلة خاسئين، صغـاراً تطأهم الخلائـق بأقدامها إذلالاً لهم، قبـل ذلِّ النيران، جزاءً وفاقـاً، لمن كان من قبل ذلك مـن المتكبرين، وإن كان قبل ذلك من تبرأ منهم في الآخرة، كان لهم من العابدين، وذلك لبعد مكانهم عن الرحمة، ونتانة أجسامهم وبشاعة صورهم، وسواد وجوههم وقذارة أنفاسـهم، وظهور ظلمة بواطنهم، حتى كأنهم بالأمس ما كانوا ربّان هذه الدنيا، وغاية طلابها وكعبة عشاقها، إليهم تخضع الأعناق، وفي اعتباهـم تنثر لآليء الكلمات تزلفاً لهم وطمعاً او خوفاً من بطشـهم لضعف النفوس.

أجل إنهم كانـوا بالأمس آلهة، من دون الله يعبدون، يحرمون الحلال ويحلون الحرام، بواسـطة أذنابهم من وعاظ السلاطين، من المتظاهريـن بالنسـك والتقوى. وقـد كان بالأمـس القريب ظلمهم عدلاً وباطلهم حقاً، وجهلهم علماً وخطأهم صواباً، وثرثرة كلامهم جواهـر يكتبهـا طـلاب الدنيـا فـي سـجل أسـفارهم. حيـث راحوا

يختزلون حضارات الأمم وتأريخها، في الحديث عن الملوك والجبابرة، تاركين الشعوب بمأساتها وفقرها، تأن في أكواخها. لكن الحق يقال، بأن الناس كانوا لأنفسهم ظالمين. تصديقاً لقول الرسول ﷺ: «كيفما تكونوا يولى عليكم»، حيث أن حكّام الجور والضلال، هم نتاج حضارات الأمم، وواقع إراداتهم، ونوادر الخلق على طول التأريخ، منار هدى لمن شاء إلى ربه سبيلاً، وهم الحجج ليوم الحساب.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

ينتقل الحديث من الغيبة، إلى الخطاب والشهود، وكأن المؤمن بعد السير والسلوك في معارج الربوبية بلحاظ إسم الجلالة والرحمانية والرحيمية. وبعد الحمد والثناء، قد تحقق له القرب فأصبح يعيش حضوراً، لو كان واقعاً ممن قد عاش واقع هذه الأسماء. والحمد والثناء حيث يصبح أهلاً ليخاطب مولاه، بلا أي واسطة، ولا أي حجاب من حجب الخارج، او ظلمات النفس وغشاواتها، ليقول بعد المعرفة «يا مولاي أنا العبد الذي أصبح محض العبودية والخضوع والطاعة».

إن تقديم المفعول، وهو إياك على الفاعل، يدل على الحصر.

وفي المقدمة، لابد من التوجه إلى أمر مهم، حتى لا يقع الإنسان في خلط بين المفاهيم، فيظن أنما يقوله الجاهلون حقاً، ظاناً أن الإستعانة بغير الله شرك مطلقاً. والحال أن الانسان يستعين في حياته، بالأكل والشرب والصديق والجار. وبجميع الأسباب

للوصول إلى المسببات وبالكتب والمعارف. ومن أبرز مواطن الإستعانة، هو الإستعانة بهدى الأنبياء وشرح الأوصياء، وتطبيقهم لمناهج رسالات السماء، بعيداً عن أوهام المشركين، الذين جعلوا ما ليس بسبب سبباً كالأوثان والأصنام.

أجل، العَالم عالَم علل، ومعاليل ومعدات، ومؤهلات مادية ومعنوية. وقد جعل الله تعالى لكل معلول علة وسبباً، وقال بالنسبة إلى ذي القرنين ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾[1]، حيث أن من عاش المحضر الربوبي، ذاتاً وصفةً، وحمداً وثناءً، عاش مستعيناً بالله نوراً، وبالعلم والعدل والحكمة، التي هي في الله وأسمائه وآياته المتجلية في جميع السماوات والأرضين. وبالأخص بآياته العظمى، وكلماته التامة من الأنبياء وخلفائهم الصالحين، وإنما الفارق بين المؤمن وغيره، أن غير المؤمن يعطي الأسباب المادية، طابع الإستقلال، والمؤمن يراها فعل الله تعالى. وأنها لولا إذنه لما كانت عاملة مؤثرة، ولذا قد تصبح النار برداً وسلاماً، وقد يدعو المؤمن ربه بحق ومكانة أوليائه، إن لم نقل أن لهم حضور فعل بإذن الله تعالى، كما للملائكة الكرام المدبرة أمراً، حيث أن العوالم الأعلى محيطة بالعوالم الأدنى، وهم أحياء عند ربهم يرزقون. وحيث إنا لو أردنا أن نبحث عن الأمر بحثاً علمياً، لوجدنا لذلك مجالاً واسعاً من الإمكان، إن لم يكن مؤيداً بدلائل النقل، لكن هاهنا نقول بحق جاههم وعظيم مقامهم، أن يحقق الله تعالى لنا ما هو الخير ويدفع عنا الشرور.

---

(١) سورة الكهف ٩٢.

فالشـرك، هو أن يعدل الإنسـان بربه أحداً، او شيئاً من الأشياء فـي العبـادة او الإسـتعانة، ويعطيه طابع الإسـتقلال، منكـرا لربه أو غافـلا عنه، بعـد كونه لا مؤثر في الوجود إلا اللـه، وما له الأثر، إنما هو سـبب بإذنه تعالى. ولذا نقول من صلى، وهو يلاحظ أحداً بنحو الاسـتقلالية، او بنحو الإشـراك في صلاته، كانت صلاته باطلة. لأن الشرك من الإشـراك. والاشتراك في الأثر والأمر، حيث أنه لابد من الخلوص وشـهود الحق تعالى، فـي كل أمر قيوماً، وقد كان من أكبر الكبائر الشـرك، وليس ذلك في حق من وجد كل شـيء خاضعاً لله، ومظهراً من مظاهر أسمائه وصفاته.

لكـن، ماذا يكـون المقال مع قـوم خلطوا بيـن المفاهيم، ولم يميزوا بين الاسـتقلالية، والفنـاء، والتبعية؟ وبالأخص حينما دفعت بهـم الأحقـاد الطائفية مـن ناحية، وكبـر الجهل المركب مـن ناحية أخرى، ليحكموا على الأمة الإسلامية طراً بالكفر. ويا ليتهم حكموا على الأمة بالفسق او الخطأ، وهم مع ذلك كله يظنون أنهم يحسنون صنعـاً. والحال من فسّـق مؤمنـاً، كان مصيره النـار. فضلا عمن كفّر أمـة، وَهـو يعبد الحـكام، ويرى فـي وجوههم وجه الملـك العلّام، وسيد الأكوان والأنام، محمداً (عليه أفضل الصلاة والسلام).

وقـد وجد الحـكام مصاديق لقول الرسـول ﷺ: «من مات ولـم يعـرف إمام زمانه مـات ميتة جاهلية»، حيث أنـه يرى أن من لم يعرف حـق هؤلاء الجهال الظالمين الفسـقة المجرمين، يموت ميتة جاهليـة. وحكام الأمس ليسـوا هم إلا نسـخة بدل مـن حكام اليوم،

الذيـن هـم بلا شـك ولا ريـب، إلا ما نـدر منهـم، مظاهـر الجبابرة والفراعنـة والشـياطين. وهو تعالى كما تشـير بعـض الروايات: «أنه المالك لمـا ملّكك، والقادر على ما عليه أقـدرك»، لكن أنّى لجهال بالجهل المركب من الرقي لفهم هذه الدقائق من آية، او رواية. طهرنا الله تعالى، وإياكم من جهل المتكبرين، بحق محمد وآله الطاهرين.

المحاضرة السابعة

تفصيل آخر في قوله تعالى: ﴿إياك نعبد﴾

الصلاة إنما شُرِّعت لتنزيه العبد من رجس الكبر والعُجب والغرور، والعبادة أداة خضوع وقرب بدوافع المحبة للَّه تعالى؛ حيث إن الإنسان بعبادته وصلاته ودعائه يلمس فقر ذاته، ويطلب العون من الله تعالى للمزيد من القرب والكمال، حيث إن الصلاة وسيلة بها يتحقَّق القرب، وهي الحبل بين العبد وربِّه، بل كل العبادات -بما لها من واسع المفهوم- هي سبل للقرب، ولو كانت خُلقاً كالصدق والعدل أو كانت منهجاً في الحياة ولو في المعاملات؛ لأن الشريعة منهاج كمال بكل ما تحمل من معالم وسبل لزكاة النفس في كل هذه الأبعاد، ليبتعد العبد بذلك عن الكبر، ويندفع بواقع العبودية إلى التواضع ولمس الفقر والتوجه نحو الغني المطلق وهو اللَّه، ومن هنا

يتجلَّى كم هو عظيم مقام العبودية، حينما يقول العبد مخاطباً ربَّه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، في حين أنه ليس هناك من صفة لمخلوق هي أعظم من كونه حقيقة يصبح عبداً للَّه، فمن عبد اللَّه حقًّا طهر من رجس الكبر الداعي إلى الكثير من الرذائل، التي من أبرزها الحسد، الذي هو من الصفات الحاكية عن جهل الإنسان بواقع الألوهية، حينما يصبح بحسده يرى الخير لنفسه دون غيره، وكأنما الخير حزمة من الخضروات لو أعطيت لزيد قد لا يحصل هو عليها، حينما يعيش الحاسد هذا الضياع بالنظر إلى سعة فيض اللَّه تعالى، أو لفرط حب الذات حيث يصبح يرى أن كل مكانة عظيمة هي من شأنه فقط دون غيره كما حصل لإبليس حينما حسد آدم عليه السلام.

فالكبر مضيعة للعقل ومدعاة للوقوع في الجهل الذي أهلك أكثر الأمم، ودفع بها للخروج من القرب إلى السقوط في وديان المغضوب عليهم كإبليس بعد أكثر من ستة آلاف سنة من العبادة.

لكن هاهنا يمكن أن يتساءل الإنسان بنفسه: هل كانت عبادة إبليس بنحو من التسامح في التعبير مجازاً، كما يقال مثلاً: رجل صلى بلا طهور، حيث يُعبَّر عن الصلاة الفاقدة للشرط بالصلاة، في حين أن العمل الفاقد للشرط بحكم العدم، ولذا قد يقال: إن إبليس ما كان يعبد اللَّه حقًّا، بل كان مرائياً أو منافقاً، وكانت لحظة الأمر سبباً لبروز هذا الواقع المكتوم في ضمير إبليس، حيث كان يستره على الملائكة بمظاهره الخلابة، حتى سُمِّي عندهم بطاووس الملائكة، لكن ما يُبعّد هذا الفرض هو أن إبليس لعله كان يعبد اللَّه

حقًّا فترة من الزمن، وإلَّا لما كان قادراً أن يبلغ مقاماً يرتفع به إلى مصاف الملائكة الكرام، وعليه فنقول إذن: إن إطلاق القول بأنه ما كان إلَّا مرائياً أو منافقاً يكون من التجاوز في المقال،والأنسب أن يقال: إنه عبد اللَّه حقًّا فترة من الزمن، ثم لما وجد إعجاب الملائكة به، ووجد نفسه في مقام قد ارتفع به عن أبناء جنسه من الجن؛ أصيب شيئاً بعد شيء بالعجب، ودفع به ذلك إلى الكبر، وكان من تواليه الفاسدة الحسد حينما يصبح الشخص يرى أن كل خير إنما هو من حقه دون غيره، وعلى هذا فنقول: إنه لا مانع من القول بأن إبليس -كما ورد في الروايات- كان قد بذل جهداً جهيداً في القرب بما قام به من العبادات وبذلك نال مقاماً عند ربِّه، ثم أصيب بالكبر والإعجاب حيث دفع به ألَّا يرى أحداً في الكون أحق منه بالقرب، حتى ولو كان اللَّه تعالى قد أعطى مقام الخلافة للملائكة لحسدهم على ذلك، وهذا هو شأن كل مُتكبِّر يرى نفسه في غير ما هو عليه من واقع وجوده، حيث تختلط عليه الأوراق وتضيع المقاييس العقلية.

ولكن هاهنا أيضاً تساؤلات أخرى قد تعرض على الذهن، التي منها: أنه من أين عرف إبليس أنه قادر على أن يؤثر على ذرية آدم عليه السلام؟ وثانياً: من أين حصلت له كل هذه الشيطنة والمكر إن كان ما مارس أمثال هذه الأمور يوماً من الأيام حينما كان يعيش مع الملائكة؟ ثم قد نتساءل أيضاً: على أن هذه الشيطنة والخداع هل هو من نتاج الكبر والعُجب والحسد، حيث إنها تدفع بصاحبها إلى العدوان والتربُّص بالآخرين، حيث تستوجب أن يكون ماكراً

لبلـوغ غاياته، لكن قد نتسـاءل أيضـاً: من أين عرف إبليـس أنه قادر علـى التأثيـر على أكثر بني آدم وإغوائهم في حيـن أنه ما كان قد خبر الأمـر قبل ذلك؟ فهل عرف ذلك من طينة الإنسـان، وعرف مواطن ضعفهـا؟ أو أنـه لغاية نجهلهـا ولحكمة الامتحـان والاختبار للجن والإنسان قد اطَّلع على ذلك؟

كمـا وأنـه هاهنا لا بد من الالتفات إلـى أن أبليس قد اعتُبر من أكفـر الكفـرة، فـي حين أنه لـم ينكر وجـود الصانع بـل ولا الربوبية بحسـب ظاهر السـياق، وعندها فلا بد من القول: إن من كان عارفاً باللـه تعالـى، ولكنه لطغيـان يمتنع من امتثـال أوامره، هـو أيضاً من الكافرين، وإن كان بحسـب المصطلح ظاهراً يعدُّ من الفاسـقين، إلَّا أن يقـال: إن عدم امتثـال الأوامر من إبليس ما كان مجرَّد عدم امتثال لأمـر، ككثيـر ممَّن هم عارفون باللَّه لكنهـم لا يصلون ولا يصومون مثـلاً، وإنمـا كان عـدم امتثال لأمر ناشـئ عن كبر بالنسـبة إلـى اللَّه تعالى أولاً، وثانياً هو من جهة تخطئة اللَّه في علمه وعدله، والعصاة مـن النـاس غاية ما يصل بهـم الأمر هو أنهم لعصيان لـم يُصلُّوا ولم يصومَوا لكنهم لم ينكروا واجباً ولا محرماً ولم يخطئوا اللَّه في علم وعدل، وإلَّا فمن بلغ به الأمر إلى هذا المقام يعد كافراً، كما وأن من بلغ به الأمر أن يشك بصحة تلك الأوامر والنواهي وكونها ناشئة عن قيم ربانية كان كإبليس من الكافرين.

وهنا محتملات يمكن طرحها أيضاً بالنسبة إلى أن العبادة التي هي أداة قرب للَّه كيف يمكن أن يصبح صاحبها بعد سـتة آلاف سـنة

رجيماً مطروداً من رحمة اللَّه؟!

فنقول: من المحتملات في المقام أن الذين يعبدون اللَّه تعالى يُقسَّمون بحسب مناشئ حبهم للَّه إلى قسمين كأي محب يبذل جهداً للقرب من محبوبه، حيث إن في متن واقع كل عبادة قد جعل حب المعبود أساساً من أسسها؛ لأن العبادة ليست مجرَّد امتثال أمر لحاكم أو لسيد بشري، الذي يمكن أن يقوم به المأمور وهو يحمل الحقد للحاكم أو لسيده، لكن هاهنا يقال: إن كانت العبادة للَّه تحمل في طياتها حب اللَّه، كيف أصبحت طغياناً وتمرُّداً على اللَّه، والمحب لا يتمرَّد على محبوبه؟ حيث نقول: إن المحب تارة يريد المحبوب لنفسه، وتارة يريد نفسه للمحبوب، والحب الحقيقي هو الثاني دون الأول؛ لأن الأول يعود في النتيجة إلى حب النفس لا إلى حب المحبوب حقيقة، وهذا النمط من المحبين يريدون اللَّه تعالى لأنفسهم ولم يريدوا أنفسهم للَّه، فمادام اللَّه رازقاً هو محبوبهم، ولو جاء دور الاختبار والمنع لحكمة لصار اللَّه غير محبوب عندهم، وهلم جرى في كل مورد، إنما يريدون اللَّه لغياتهم حيث يكون معيناً لبلوغ الغايات وسبباً لكل خير يعود إليهم، لا ممتحناً قد تستدعي طاعته تحمل الأسى والخوف والحرمان والقتل مثلاً، حيث لا يكون هذا الحب مستذوقاً عندهم؛ لأنهم -كما قلنا- يريدون اللَّه لأنفسهم ولم يريدوا أنفسهم للَّه. وعند التحليل نجد أن حب إبليس للَّه تعالى كان من هذا النمط؛ ولذا ضربت جميع أركان هذا الحب لما جاء المحك، بخلاف من وجد اللَّه كل شيء، ووجده الخير والكمال والنور و الجمال، ووجد أن بطاعته بلوغ غايات الكمال،

وأن قضـاءه وقدره حكمة، وأنه تعالى يعطي كل مخلوق بحسـب ما له من قابلية، فيكون راضياً بقضائه وقدره، ولو وجد نفسه بقضاء اللَّه ليـس في منازل الأنبياء بل ولا في منازل المقربين والصالحين حيث يلمـس بذلك أنه قاصر من بلوغ هذه الغايات، فمثل هؤلاء المحبون للَّه تعالى الذين أرادوا أنفسهم له لا يصابون بما أصيب به إبليس.

وبالجملـة يجـب أن يكون العابد يريد نفسـه للَّـه تعالى، ومن أراد اللَّـه لنفسـه وظن ذلك حبًّـا وعبادة فهو مـن الخاطئين؛ لأنه في واقـع الأمر يعيـش الأنانية وحب النفس لا حـب اللَّه تعالى وإن ظن نفسـه من العابدين الزاهدين، وهذا ما أوقـع إبليس في الخطأ حينما قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ أي من آدم عليه السلام.

ومـن المعلـوم أن حـب النفس المفـرط إن لم يكن ناشـئاً من الكبـر وإلَّا فهو يدفع إلى الكبر والعجب، ومنه ينسـاق الإنسـان إلى الحسد، والحسد يدفع بصاحبه إلى العدوان، حيث يصبح الشخص يـرى أن كل مـا فـي الكون إذا لـم يكن في محور وجوده الشـخصي فهو خطأ في خطأ، ومن مصاديق هؤلاء المصابين بهذا المرض أكثر الحـكَام في العالم، حيث يصـل بهم الأمر أن يـرى الواحد منهم أنه الشعب والحضارة والتأريخ.

كمـا وأن من المحتمـل أن عبادة إبليس كان النظر فيها -بعدما كانـت سـليمة في بداية الأمـر- التفاخر من بعدمـا أصيب بالعجب، وهـو تفاخر على الملائكة وأبناء جنسـه من الجـن، ولعل الذي كان مدعاة لهذا التفاخر هو أنه من بعد ما رفعه اللَّه تعالى عن مستوى أبناء

جنسه من الجن، وأصبح يعد في مصافِّ الملائكة المقرَّبين حتى صار في أعينهم طاووس الملائكة، دفع به إلى زهو كان يعيشه أو دُفع إليه من بعد ما أصبح محط نظر الملائكة، فدفع به ذلك الاحترام والقرب من اللَّه أن يصبح يُعبر عنه بالزاهد، فلمس بذلك أنه أصبح قريباً من اللَّه، وأنه ليس كسائر أبناء جنسه الذين هم بمصطلحنا اليوم من العامة، بل لعله أصبح ليس بمستوى الملائكة مكانة، وعلى هذا فإذا لم تكن منازل المقرّبين له فلمن تكون هذه المنازل؟! ولذا صُدِمَ إبليس حينما سمع أن هناك شخصاً أقرب منه منزلة عند اللَّه، وهذا من أخطر ما قد يُصاب به الإنسان، وبالأخص إذا اشتهر بين الناس بالزهد وكثرة العبادة، وصار يشار إليه بالبنان أنه رجل الأوراد والأدعية، فهذا من أشد مواطن الوقوع في الأخطاء، حيث قد يُصبح الشخص رجيماً وهو يظن نفسه من الأولياء المقرّبين، حتى ولو كان من أول الأمر ليس من المرائين لكنه قد يدفع به الأمر شيئاً فشيئاً إلى حضيض الرياء؛ ولذا كان على الإنسان المؤمن -رجلاً كان أو امرأة- أن يحذر كل الحذر من أن يصبح يُعرف بين الناس بالزهد والتقوى، حيث إن عليه ألَّا يتجاوز حدود الواجبات في المظاهر العامة حتى لا تكون عبادته أداة لدخوله في عقر جهنم، ولعل هذا كان من جملة الأسباب التي دعت إلى أن تكون النوافل والمستحبات في غياهب الظلمات ليلاً بعيدة عن منظار العامة، وألَّا تكون المستحبات جماعة، كما وأنه قد ورد التحذير من الذين يُشار إليهم بالبنان بأنهم أهل الزهد والتقوى؛ لأن مثل هذا الزهد قد يكون حاصلاً حتى من الجاهلين الذين يقضون اليوم بتلاوة القرآن وكثرة

الصيام والصلاة، وهم لا يُحكمون من القرآن آيتين، وأنهم ليسوا من أهل معرفة الحق في مقابل الباطل، ولا هم من الذين مع العدل ضد الظلم، فقد تراه يعيش نسكاً بما يعتقد ولكنه من مصاديق قول الرسول ﷺ: «الساكت عن الحق شيطان أخرس»، ولعل إبليس من بعد هذه العبادة الطويلة التي أصبحت عملاً لا يدفع إلى كمال وقرب، صار يرى لنفسه فضلاً على ربِّه، في حين أن طالب الكمال بالعبادة يزداد بها تواضعاً ولمساً للفقر يأخذ به للسير نحو الكمال، ولكن الذي يبدو من إبليس من بعدما أصيب بالكبر أنه كان يرى لنفسه فضلاً على اللَّه، ولذا اندفع إلى الطغيان حينما اعتقد أن جهده الجهيد ما قدر له كما كان ينبغي أن يقدر.

كما وأن من المحتمل أنه كان يقوم بتلك العبادات من بعد ما أصيب بالكبر لغاية كان يرجو الوصول إليها، كبعض من يبذل الجهد في طلب العلوم الدينية ليصبح بها زعيماً، فإذا لم ينل ذلك المقام يصبح يرى الناس غير عارفين لمقامه، وأنه كيف لم يحقق له ذلك، وما ذاك إلَّا لأنه سهر الليالي ليصبح للناس إماماً حينما أصبح العلم عنده مدعاة للكبر لا التواضع؛ لأن من عاش المعرفة وواقع العبودية شاهد نور الحق فكان هو المطلوب عنده لا الزعامات، لكن من درس للزعامة يصبح بمرور الأيام يزداد بالعلم كبراً ونهمة للزعامات بدلاً من أن يكون العلم نوراً لشهود الحق والعيش في المحضر الربوبي.

هذا وغيره من المحتملات بعض ما يمكن الوقوف عنده

بالنسبة إلى إبليس والسالكين مسالكه، كما وأن التأمل بالمناشئ واختلاف الغايات لمحب اللَّه تعالى والتوسع في ذلك قد يأخذ بنا إلى الخروج بعيداً عن تفسير سورة الحمد، لكن أحببت الإشارة في المقام إلى هذه المحتملات رغبة مني أن تكون مدعاة لتأملات من قبل القرّاء الكرام. وفقنا اللَّه وإياكم إلى الصواب، وأبعدنا عن مزالق الشياطين، والحمد للَّه رب العالمين.

للحاضرة الثامنة:

في رحاب قوله تعالى: ﴿وإياك نستعين﴾

قد أشار الله تعالى، إلى الغاية التي من أجلها خلق الجن والإنس، إتماماً لحكمته ومجاري فيضه، ليأخذ بهما إلى منازل السعداء والخير والكمال، قائلاً: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[1]، أي ما خلقتهما إلا لطاعة تدفع إليها روح الخضوع والتذلل، الناشئة من لمس الفقر، والحاجة إلى الغني الحميد، بداعي حبه تعالى. حينما يجد المؤمن الخير كل الخير في الله تعالى، حيث يستعين العبد المؤمن، بعد زكاة النفس بمشاعل العلم، تحقيقاً لهذه الغاية، التي أخذ الله تعالى عليها الميثاق من بني آدم، قبل هذه النشأة، قائلاً: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ**

---

(١) سورة الذاريات ٥٦.

﴿ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾[1].

وما ذاك، إلا لأن من عاش خيلاء الكبر والغرور، حكم على نفسه بالهلاك أولاً، للبعد عن مجاري الفيض والرحمة الإلهية. وثانياً راح ليتوقف عن طلب الكمال، سالكاً سبل السقوط والتوغل في الظلمات.

لكن بعد عرفان الغاية، وسبل الوصول إليها عبادة واستعانة بالله تعالى، والأسباب المؤدية إليها، قد يطرو على الذهن هاهنا تساؤل هام. وهو أنه كيف يمكن للإنسان أن يعيش استقامةً وعدلاً في موازين العقل وسلامة الفطرة، بعيدا عن مزالق الأقدام في ظلمات دار الدنيا؟ ليعبد ربه حقاً ويستعين بسبل سليمة، توصل إليه وهو يعلم علم اليقين، بأن الطريق محفوف بالمخاطر، وأن هناك من يتربص بالإنسان الفرص للنيل منه، مادام صراع الحق والباطل قائماً على قدم وساق إلى قيام الساعة.

فإذن من حق العبد المؤمن، أن يتساءل من نفسه في الخلوات، ويقول:

من هو أخطر كائن في الكون؟!

قد يبدو لأول وهلة، أنه سؤال عجيب من مورده ينبأ عن بساطة وقلة علم، من أنه: كيف يمكن ان يتردد المؤمن وهو يعلم علم اليقين أن اخطر من في الكون على الإيمان والمؤمنين هم

---

(١) سورة الأعراف ١٧٢.

الملحدون الزنادقة المنكرون للصانع؟

الذين يصرحون قائلين: «الله في قفص الإتهام»، ولما مكنتهم الظروف في القرن الماضي والحاضر، وأصبحوا حكومات تملك الرقاب، هدموا الكنائس والمساجد والبِيَع، او منعوا المصلين من أن يذكروا فيها إسم الله تعالى. حيث أن هؤلاء ما قال بمقالتهم، حتى من أشركوا بالله تعالى، الذين عبدوا الأصنام والأوثان لقولهم في حق الأصنام والأوثان، لتقربنا الى الله زلفى. فالمشركون مخطئون لشبهة ساقتهم الى أن يجعلوا لله شركاء، بخلاف الملحدين كالشيوعيين العقائديين وغيرهم من منكري الصانع، فهم بلا شك أخطر كائن على وجه البسيطة، مطلقاً على الإنسانية والإيمان والمؤمنين. فكم من دماء سفكوا؟ وكم من معابد هدموا؟ حيث أن ذلك ينبئ عن قسوة في الطباع.

لكن أقول، يجب على كل مؤمن ومؤمنة الوقوف، ولو قليلاً ما للتأمل في الأمر وعدم التسارع في الحكم، وذلك عندما يستسلم النهار لصمت الليل، ويصبح السالك سبل ربه يعيش العزلة مطلقاً، حتى عن الأهل والمقربين. فضلاً عن ضجيج محافل الغافلين، بل وبمعزل حتى عن مساجد رب العالمين، التي قد لا تخلوا في بعض زواياها وخباياها، من تواجد بعض الماكرين. ان لم نقل إنهم قد تسلقوا إلى أعوادها _منابرها_ في كثير من المعابد، على حين غفلة من حشد المصلين. فأصبحوا للناس أئمة بهم يقتدي المصلون، وإلى حسن حديثهم يستمع المحتشدون.

أجل عند تحقق العزلة في هذا الصمت، البعيد عن كل مخلوق، يحسن بالمؤمن والمؤمنة أن يسألا من أنفسهما. من هو أخطر كائن في الكون طراً؟ الذي يجب الحذر والحيطة منه، لكي تكون العبادة التي من أجلها خلق الجن والإنسان قرباً، وتكون الإستعانة بالسبل شهوداً للحق تعالى، ذاتاً وصفةً وفعلاً، بالسير والسلوك في مسالك الرضوان، وحب الملك الديان.

فعلى العاقل، أن يسأل من نفسه. من هو هذا الكائن الخطير؟ وأين مواطن سكناه؟

أفي سماء أو أرض، ام في بحر او بر، ام أنه يعيش في الغابات، حيث الوحوش الكواسر ليحذر منه.

لكن لعل الحيرة لا تدوم طويلاً، حيث يجد العاقل نفسه بمأمن من خطر الكواسر في الغابات، والحيتان في البحور. حينما يجد نفسه ساكناً في بيت في مدينة، لا سبيل للكواسر والحيتان إليها.

فإذا أمن العاقل جانباً من الخطر، وعلم أن اخطر كائن في الوجود، ليس من يعيش في الغابات، ولا في البحور. واطمأن على صحته من الأمراض الخبيثة، فإنه سوف يعود، ويقول ثانية لنفسه. إذن أين هو هذا الكائن الخطير المخوف الذي لا اخطر منه في الكون؟

أليس هو من ارشدني إليه العقل؟ وهو ذلك الملحد الزنديق، المنكر للفطرة وموازين العقل، بإنكاره للصانع، الذي راح ليهدم المساجد والبِيَع والكنائس، او ليمنع فيها عبادة رب العالمين،

وليقتل من خالفه من المؤمنين.

فإن لم يكن هو ذا، فإذن هو بلا شك، ولا ريب كل جبار عنيد وطاغوت مريد، نصب نفسه للناس رباً، فأذل العباد وأخرب البلاد، وعاث في الأرض فساداً. واتبع الناس، يسفك دمائهم ويستبيح أعراضهم، وينهب أموالهم. ولو فروا منه في الكهوف والغابات. فمن هو بعد هؤلاء الملحدين والجبابرة المجرمين يمكن أن يكون اخطر كائن في الكون؟!

وعندها يجد المؤمن نفسه يعيش السكينة والراحة والطمأنينة، بعد أن حصل على الجزم واليقين، بأنه قد عرف هذا الكائن الخبيث، وعند معرفته إياه فإنه سيطلب من ربه أن يعينه ويهديه سبلاً، تأخذ به إلى منازل الأمن والنجاة، من إغواء الملحدين وبطش الجبابرة المجرمين.

ثم إن العبد المؤمن، بعد الحمد والثناء لله تعالى على نعمائه لهديه إياه، لمعرفة هذا الكائن الخبيث يجد نفسه بعد هذا الجهد الجهيد، والتعب الشديد، أن من حقه أن يستريح ساعة، يشرب فيها كأساً من الماء الزلال البارد، مع فنجان قهوة يتذوق معه قليلاً من تمر البركة، ليستعيد بذلك نشاطاً كان قد فقده في رحلته هذه، حول العالم حينما أخذت به الأفكار، للسير والسلوك في الكون الواسع لمعرفة من يجب الحذر منه.

ثم إنه ليجدر بالمؤمن. أن يقول لنفسه بعد ذلك، وهو يعيش الفرحة والسرور والنشاط، يا ليتها كانت مسابقة، قد أعدت لها

الجوائـز، لكنـت فيها مـن الفائزين، ولـو بتذكرة مجانيـة أطوف بها العالم، ازداد بها نشـاطاً، وعلماً للخوض في مسـابقات أخرى أكون فيها، بلا شك من الفائزين أيضاً.

لكن مع كل الأسـف، أنه سيجد كل ذاك الفوز والعرفان، كان حلمـاً ووهماً بعيـداً عن الواقـع، لأن المؤمن مهما شـرّق او غرّب، واستعان بعقله، او بغيره، لابد وان يعود في آخر المطاف، إلى كتاب ربه القرآن المجيد، حيث أنه النور السـاطع الذي به تبيان كل شـيء، وليـس بعـد الحـق إلا الضـلال المبين، فهو المرشـد الـى الصواب لمعرفـة من هو أخطر كائن على وجه البسـيطة مطلقـاً. فإذا جاء الى الكتـاب المجيـد وتأمل فيه بدقة وإمعان، سـيقول لنفسـه، سـبحان اللـه، هـل أنا مصيـب او مخطيء؟ فيمـا أقرأ وأرى. حينمـا يجد في كتـاب ربه، أن ذلـك الكائن الخطير الخبيث الملعـون، عالماً عابداً، سـاقه الهوى لكي يصبـح رجيماً، وهو ممن كان أقـر بالصانع وبيوم الحسـاب، وعبـد ربه أحقاباً مـن الزمن، تعلوه السـكينة والوقار، قد راح يسـبح الله مع المسـبحين، ويقدسه مع المقدسـين. وأنه ما كان ليتردد يوماً من الأيام بالحشـر والحسـاب، وأنه ما كان مشركاً يتردد فـي معالـم الربوبية، ولـم يتـردد يوماً بعزة الله وسـلطانه حتى قد ظنه الملائكـة الكـرام، لقربـه مـن الله أنـه منهم واعتبـره اللـه تعالى من الملائكـة، حينمـا وجه خطابـه للملائكة للسـجود لآدم عليه السلام، وقد اتخذه الإنسـان الكامل كآدم عليه السلام، على الرغم من التحذير مرشـداً إلى سبيل البقاء والخلود.

فيـا لله والعجـب، هل يكون المقـر بالوحدانيـة العابد الزاهد أخطر من في الكون، لا يقاس به حتى الملحدون والجبابرة الظالمون والفراعنة الذين نصبوا أنفسهم للناس أرباباً؟!

أجل، إنه ذلك العبد الزاهد العالم، ولولا أن كشف الله تعالى اللثـام عـن وجهه، وأرشـد الملائكة والجن والإنس، إلـى أنه رجيم مطـرود من رحمة ربه، لعاش مع الملائكة المقربين، الى يوم يبعثون لكثرة نسكه وتقديسه وتسبيحه وسكينته ووقاره وحسن منظره.

وهكـذا هـو شـأن كل عابـد عالـم، إذا سـاقه الكبـر والهوى، ليسـتخدم علمه وحسـن سمته، وظاهره القدسـي الملكوتي، للمكر والخـداع، وتحريف رسـالات السـماء. ومـا إبليـس إلا واحد ممن حذر الله منه عباده، لكي لا تقع الناس فريسة لأمثاله، من المتظاهرين بالزهد والتقوى من المنافقين الدجالين والمرائين، الذين لا يجدهم الباحث في قصـور الجبارين، ولا في منازل الملحدين بل في معابد رب العالميـن، فـراح اكثـر المؤمنيـن ليخافوا من وسـاوس إبليس، وأنهـم ربمـا أصبحوا وأمسـوا فـي معابدهم، وهم عن أشـباه إبليس غافلون.

فالحـذر الحذر منهـم، فإنهم اخطـر كائن على وجه البسـيطة مطلقـاً، حيـث أن الجبابرة بسـطوتهم وظلمهم وطغيانهـم، يدفعون بالمؤمنيـن الـى الثبـات. وإن المنحرفيـن كالزنادقـة الملحديـن، يأخذون بالمؤمنين للتسـلح، بالعلم والتوغل في المعارف الربوبية، لردع شـبهاتهم الواهية، فـي مقابل الحق المبين، الـذي لا ترقى إليه

شبه الملحدين. وقد قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[1]، فلا يخدع بشبهات الملحدين، إلا من كان ضعيف الإيمان قد هان عليه دينه.

فالمنافقون، هم من حرّفوا رسالات السماء بعد الأنبياء، واستلموا في الغالب معابد رب العالمين. سواء كانت المعابد مساجد او بِيَع او كنائس، فأصبحوا فيها الآمرين الناهين، يحرفون الكلم عن مواضعه، ويأكلون أموال الناس بالباطل، ويعطون لذلك المجوزات، ويتركون اليتامى والأرامل والمساكين، يعيشون البؤس والمأساة، لا يرحمون أحداً، سلبوه عقلاً او مالاً، او ساقوه بفتياهم إلى مسالك الهلكات، حينما يطمأن إليهم الناس. ويعبدونهم من دون الله إذ يقول تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[2]، وكذلك هم المسلمون حكماً، إذا اتبعوا غيرهم بلا موازين شرع ولا عقل، كمن اتبع الصحابة او العلماء إتباع الغنم كبش الكتيبة. وهم الكثير او الأغلب من عوام المسلمين سنة وشيعة.

حيث أن سنن الله تعالى، لا تبديل ولا تغيير فيها، حيث يقول الرسول ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر او ذراعا بذراع ولو أنهم دخلوا جحر ضب لدختلموه»، وذلك حينما تركت الأمة تعاليم نبيها إذ يقول: «إعرفوا الحق تعرفوا أهله»، حينما راحت الأمة لتعرف الحق بالرجال لا بموازيين الحق، تهاونا بدين الله. حينما

---

(١) سورة النساء ١٤١.

(٢) سورة التوبة ٣١.

بذلوا لدنياهم في كل أسبوع عشرات الساعات. ولم يبذلوا لمعرفة ما خلقوا من أجله وهي الآخرة ساعة واحدة في كل أسبوع، لمعرفة معالم الربوبية بمعرفة الكتاب والسنة وسيرة النبي وآله الكرام (عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام).

فأعود وأقول. أيها الناس لا تبحثوا عن أخطر كائن في الكون في قصور الجبارين، ولا في مساكن الملحدين، ولا عند أصحاب اللهو واللاعبين، ولا في أسواق المطففين، ولا بين الكواسر والمفترسين. بل ابحثوا عنه في معابد رب العالمين، وطهروها من رجس الشياطين المنافقين، والدجالين المرائين، بمعرفة الحق. فإن أخطر كائن ملعون خبيث، لا أخطر ولا أخبث منه قد يكون إلى جنبكم كتفا الى كتف في معابد ربكم.

أيها المؤمنون والمؤمنات، وأنتم تحبونه وتقتدون به، وترون في وجهه معالم رب العالمين، وسيرة سيد المرسلين والأئمة الميامين. في حين أنكم تعيشون الحذر من الأبعدين، والخطر في جنبكم. تصبحون وتمسون معه، وقد تسقطون بثوراتكم عروش الجبارين، وأنتم فريسة للدجالين يفترسون عقولكم ويدخلونكم مواطن الهلكات. يفسرون لكم الآيات والروايات بتبع الهوى، فتصبح التقية إضاعة للدين، بعد أن كانت منهج عقل للمتقين، ويصبح الصمت عن الحق والظالمين زهداً به يرتقي العبد الى منازل المقربين. فإعرفوهم بخطرات المشي رويداً رويداً تعلوهم السكينة والوقار، حتى كأنهم ملاك قد أهبطوا إلى الأرض، بأمر من

رب العالميـن، لتطهير الأرض من ظلمـات الرجس، والواحد منهم يدرّس الشـياطين، مسـالك المكر والخـداع والإغـواء والإضلال. يبـدو تلميـذاً عند شـياطين الجن، ثـم يصبح لهم إمامـاً، حيث أنه لا يبلغ مبالغ الإنسـان، رقياً ولا سـقوطاً أحد في العالمين، عروجاً إلى الله تعالى في منازل المقربين. وسـقوطاً إلى أسـفل سافلين في درك الجحيم كالإنسان.

فيالله، وهذا الكائن العجيب، نور به يشهد الملائكة المقربون، أسماء الله تعالى، وله يسجدون، ويكون الواحد منهم ظلمة، يستعيذ منها شياطين الجن.

فإذا طهرت أيهـا الناس، معابد رب العالمين، بوعي المؤمنين من الدجالين، واسـتلمها أهلها مـن العلماء الصالحيـن. فإنه عندها تفسر رسالات السـماء، تفسيراً سـليماً، وتصرف الأموال في وجوه البر. وتصبح المساجد والحسينيات، بياناً للحق ضد الباطل، والعدل ضـد الظلـم. وإن بوعي الأمـة تتهوى عـروش الظالميـن، وتخرس حناجر المنحرفين. ولم تكن الصحوة للمسلمين سبباً لإسقاط أمثال بنـي أمَية، ليأتـي بنو العباس بشـعارات يا لثارات الحسـين. بل يأتي أمثـال الإمـام الصادق عليه السلام، ورجـال الله المتقون، لكي لا تسـقط صحوة دجالاً، ليأتي دجال آخر، كما نشاهد وتشاهدون في كثير من البلاد، التـي تغيرت بها الأنظمة، فتغيرت وجـوه الرجال، ولم يتغير الظلم والجور والدجل والنهب والعدوان.

فأصلحوا أيها الناس المعابد، وطهروها من المنافقين، تصلح

جميع ما في الكون، علماً وعملاً. وقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[1]. وقد وردت الروايات تشير إلى أن أحسن ما في الكون، هم العلماء إذا صلحوا. وأن أقبح ما في الكون هم العلماء إذا فسدوا.

هـذا ما كان من الواجب بيانه ليـوم الدين، يوم لا ينفع فيه مال ولا بنـون، إلا من أتى الله بقلب سـليم. والحمد للـه رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

المحاضرة التاسعة

في تفسير قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾

الصراط المستقيم، هو صراط التوحيد ومعالم الربوبية، بما تحمل من العلم والعمل، عدلاً في كل أبعادها في كل شيء. بداية بمكارم الأخلاق، حيث أن التخلق بأخلاق الله، للأخذ بكتابه المجيد، هو أصل الأصول في كل شيء، المتجسد ذلك الكتاب في مواطن الشهود، بسيرة الرسول وآله الكرام، حيث أنهم الأسوة لشهود الحق قولاً وفعلاً وتقريراً، بما يلمسه العارف السالك مسالك ربه، بما يتناسب مع كتاب الله تعالى بعد العرض عليه، حتى لا تصاب الأمة بالأخذ بكل حديث صح سنده، وإن خالف العقل السليم والعفة والكرامة. كما أصيبت بذلك أبناء العامة والجماعة، حينما راحوا لينسبوا إلى الرسول ﷺ من النسب المخالفة للعقل

والشـرع، والعفة والكرامة، بل وكل القيم الإنسانية الكثير. حينما لم يكن المقياس هو كتاب الله تعالى، بعرض كل شـيء عليه، كقولهم بإرضاع الكبير وكون الله تعالى يظهر للخلائق يوم الحساب كأحسن شاب أمرد.

وإن من العدل في الخلق الكريم الإعتدال بين التهور والجبن، الذي هو الشـجاعة. ومنه العدل بين الإسراف والبخل، وهو الكرم. وهلـم جرى إلى مواطن الإعتدال في المعتقدات، كالعدل بين الغلو والكفر، وما هو السـبيل إلى الحق، بما يشاهد من مسالك أولياء الله تعالـى، في كل شـؤون الحيـاة، حرباً وسـلماً. فمن لم يجـد الأمور بموازينها، وهم الرسـول وأهل بيته الكرام في سـيرتهم، لا يمكن أن يبلغ الرشـد، بمجرد معرفة الكتاب والسنة. حيث أن سيرتهم عليهم السلام هي التطبيق لمعالم الربوبية.

ومـن أبـرز ما هو مـن معالم هـذا الصراط المسـتقيم، شـهود الرسـالة الإلهية، بجميع أبعادها لمن عايش حياة الرسـول وأهل بيته عليهم السلام، حيـث يلمس فيها لمس اليقين، أنهـم كانوا ثورة ضد الجهل لبلـوغ نور العلم، وضـد الظالمين لتحقق أبعاد العدل. ولذا عاشـوا الهجمة من قبل الجهال والظالمين، ولو كانوا كبعض العلماء، الذين جعلوا الصمت عنواناً للزهد، لافتخر بهم الكثير من الجبابرة، ولقال قائلهم هـؤلاء أبناء عمومتنا، لأن ببيان الطهارة والنجاسـة ووجوب الخمـس وشـكوك الصـلاة، لا تهـزّ أركان الجهـل والظالمين. وما كان ليعيـش الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم في شـعب أبي طالـب، ولا علي عليه السلام

في ميادين الحروب، ولم يهجم على داره أحد بعد الرسول ﷺ، ولما استشهد الحسن عليه السلام مسموماً، ولا الحسين عليه السلام شهيداً في كربلاء، ولا الإمام الكاظم عليه السلام في غياهب السجون. فمن عاش سيرتهم، وجعلهم لنفسه أسوة في كل شيء، عرف الحق بالحق ولم يعرف الحق جهلاً بالرجال.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الصراط المستقيم أيضاً: «أن الصورة الإنسانية هي الصراط المستقيم، إلى كل خير والجسر الممدود بين الجنة والنار». وأي صورة إنسانية هي أكثر بياناً للحق، علماً وعملاً من رسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام.

كما وأنه ورد عنهم عليهم السلام: «إن الله تعالى خلق آدم عليه السلام على صورته»، أي أنه كان مظهر علمه وعدله وحكمته وجميع أسمائه، في مواطن شهود العلم والعمل الصالح. وقد ورد في مواطن أخرى: «تخلقوا بأخلاق الله تعالى».

كما وأنه ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الصراط المستقيم: «أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك، والمبلغ إلى جنتك، والمانع من أن نتبع أهوائنا». وعن الإمام علي عليه السلام: «أدم لنا توفيقك، الذي أطعناك به فيما مضى حتى نطيعك، كذلك في مستقبل أعمارنا». أجل استمرار الهداية للمؤمنين هداية أخرى. سواء كانت في مواطن الإعتقاد او العمل.

وقد ورد في الأحاديث، ما مضمونه، إن الصراط المستقيم هو العدل بين الغلو والتقصير، وأنه الطريق الى معرفة الله. وقد ورد عنهم

عليهم السلام أيضاً: «الصراط صراطان، صراط الدنيا وهو الإمام المفترض الطاعة، ومن لم يعرفه مات ميتة جاهلية، وصراط الآخرة». وهناك روايات أخرى أيضاً تقول: «نحن الصراط المستقيم». وفي رواية: «إن الصراط مظلم، يسعى الناس به على قدر أنوارهم، وهو صراط التوحيد».

ولذا نقول، اللهم ثبتنا على الهداية، ومكنا من الإستقامة على الطريق بإمام مبين، في دنيانا وفي أخرانا بنور، نتمكن به أن نجتاز الصراط، لكي لا نقع على وجوهنا في لهوات الجحيم، وذلك لأن الكثير من الناس بعد المعرفة والعمل الصالح لقلة الصبر في مواطن الثبات والاستقامة، يغيرون ويبدلون حينما تبعد عليهم الشقة، ويغريهم الأمل. بخلاف المؤمنين الذين يعيشون الحب لله، فيسلكون إليه سبل الربوبية، ويعيشون الحب لخلقه، فيخدمونهم بالعلم والعلم الصالح، حينما يشهد العبد المؤمن ببصيرة الإيمان أنّ الدنيا حلم وخيال تنتهي بطرفة عين.

فكما، وأن للعلم أبعاداً لا تحد بحد، كذلك للهداية والسلوك، على الصراط المستقيم أبعاداً لا يبلغ غايتها إلا من كان ذو حظ عظيم.

ومن المعلوم، أن الصراط المستقيم البعيد عن الإفراط والتفريط، هو أقرب طريق إلى الله تعالى، وهو السلام الذي دعا إليه جميع الأنبياء والمرسلين، المتجلي بواقع العدل، تحت ظل إمام مبين. ولذا كانت غاية بعثة الأنبياء عدلاً سيحققه الله تعالى بمهدي آل محمد عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «أن الصراط المستقيم، هو الطريق إلى معرفة الله، وهما صراطان صراط الدنيا، وصراط الآخرة. أما صراط الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه، مرّ على الصراط المستقيم، الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدماه عن الصراط المستقيم في الآخرة، فتردى في نار جهنم». وعن الصادق عليه السلام أيضاً: «إن الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام»، ويعني بذلك علي بن أبي طالب، لأن أمير المؤمنين والصديق والفاروق، هي من أسمائه الخاصة. وفي حديث آخر عنهم عليه السلام: «نحن الصراط المستقيم». وفي رواية: «إن الصراط المستقيم هو الإسلام».

ولا مانع من كل ذلك، لأن جميع الروايات عند التأمل تصب في مصب واحد. وهو أن الصراط المستقيم طريق الحق، الذي هو التوحيد. وأن الهادي إليه والمطبق له هو الإمام المعصوم من آل محمد. ومن أراد بلوغ الصراط المستقيم بغير إمام مبين، كان كإبليس حينما أراد الله من غير طريق الإنسان الكامل، فضاعت عليه الأسماء الإلهية، والمناهج الربوبية، وظن الجهل المركب، والكبر سبيل الرشاد.

أجل، هكذا هو من لم يعرف إمام زمانه. وذلك بنص حديث متفق عليه، بين الشيعة وأبناء العامة والجماعة، من أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية». ومن غالط نفسه، واعتبر الحكام الجهلة الظالمين، مصداقاً لهذا الحديث، كانوا

له أئمة يوم الحساب، لأنه يعيش مناهج الجهل علماً وعملاً، باتباع الظالمين وموجهي أعمالهم، من وعاظ السلاطين. وهو يرى نفسه بحفظ كلمات الآيات وكثرة الصلاة، والالتزام بها في المساجد، ولو تحت إمامة الحجاج بن يوسف الثقفي، يعيش القرب إلى الله رب العالمين.

ومن الواضح أن الصراط المستقيم واحد، لا تعدد فيه يُعرف مما تقدم بيانه والسبل إليه متعددة. لا ينالها إلا المجاهدون في سبيل الله حيث يقول تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[1]، فالسبل إلى الله لا تحد بحد فعارف بعرفانه، وحكيم بحكمته، وفقيه بفقهه، وطبيب بطبه، وفلكي بفلكه. وهكذا كل بصير يشاهد الحق تعالى، من سبيل يوصله إلى صراطه المستقيم. حيث أن الأدلة على الله تعالى، على قدر أنفاس الخلائق، وقبل كل ذلك شهود الصراط المستقيم بشهود الأسماء والصفات والذات الإلهية، التي هي بك عرفتك. والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة العاشرة:

في تفسير قوله تعالى: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾

دعاء من المؤمن على لسان ربه، أن يصبح من الذين أنعم الله تعالى عليهم، بأعظم نعمة. وهي نعمة الهداية والتوفيق للعمل الصالح. المشار إليه بقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾[1]. ولا يتمكن العبد المؤمن من السير على هذا الصراط، بمجرد معرفة الكتاب والسنة، مالم يعش حياة هؤلاء العظماء، الذين ذكرتهم هذه الآية الشريفة ليكونوا له أسوة، حتى لا يجعل الرجال صحابة او علماء ميزاناً للحق، مع وجود من هم موازين الحق صدقاً، الذين بهم توزن أفعال الرجال،

---

(١) سورة النساء ٦٩.

من الذين أشارت إليهم الآية الشريفة. والصراط الذي من شأنه أن يجعل العبد، أيضاً من الذين أنعم الله عليهم، هو ما أشار إليه تعالى: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[١]. حيث وصفه بالإستقامة التي هي سبيل عدل، وأقرب طريق إلى الله تعالى. وعدّ تعالى النعمة بتمام، معنى الكلمة هي هذه النعمة، وكأن بقية النعم من المال والجاه وغيرهما، إذا كانت بأزاء هذه النعمة، تصبح بحكم العدم.

أجل، أين مكانة النعم وإن عظمت؟ إذا جُعلت بأزاء نعمة القرب والرضوان، والخلود في الجنان، في جوار النبيين والصالحين. وأن جميع الخلق على اختلاف المشارب والغايات، هم سالكون سبل ربهم، وكادحون إليه، شاءوا او أبوا. لأنه تعالى هو المبدأ والمنتهى، المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٢]، والمشار إليه بقوله تعالى: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[٣].

فكل السبل والمسالك قربت او بعدت، تؤدي إليه تعالى. وإن بعدت بعض المسالك عن غاياتها، وراحت لتأخذ بصاحبها، إلى أن يكون سالكاً مسالك ربه، وراء الخلائق طراً. حيث أنه إن دخل أهل الإيمان برفيع معارفهم وحسن عملهم إلى الجنان، وساروا فيها القرب والرضوان، نحو المبدأ اللامتناهي بلا حجب ظلمانية، وراحت لتتبدل الجنان إلى جنان أخرى. وأصبح القرب

---

(١) سورة يس ٦١.
(٢) سورة البقرة ١٥٦.
(٣) سورة الشورى ٥٣.

قرباً آخر إلى مالا نهاية له، لشـهود أنوار ربهم، فإنه كذلك لابد، وأن يتحـرك الخاطئون ملايين السـنين وراء قوافل السـائرين حيث أنه لا غايـة إلا اللـه لكنهم يسـيرون مع ما هم عليـه، من أثقـال ظلماتهم، وقيـود هوياتهم، التي لا يتمكنون من التخلص منها حتى ولو انتهت موجبـات التأديب والتطهيـر الإلهي عدلاً لتحقيـق الحقوق وتطهير النفوس بالنيران من أدرانها.

لكن، أنى لهـم من التخلص من واقع هوياتهم فهي تصبح من لوازم ذاتهم التي لا تنفك عنها. حينما اختاروا ذلك لأنفسهم في دار الإختبار، بسوء اختيارهم كبراً وعناداً. وإن لم تكن هذه اللوازم ذاتية، بما يقول بذلك بعض الفلاسـفة او المجبرة، بالرجوع إلى الماهيات او القضاء والقدر الحتم الإلهي، العائد إلى التكوين والفيض الإلهي. ولـذا قـال تعالى بالنسـبة إلى هـؤلاء المغضـوب عليهـم: ﴿**أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ**﴾[1]. حيث أنهم بعيدون عن الغاية، وهي الله، لأنه المبدأ والمنتهى. وذلـك حينما ظنوا لكبرهم وعنادهم، ما ليس بغاية غاية. ولذا قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْـتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّـحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّـمَاءِ**﴾[2]، فأصحاب الصراط المسـتقيم، هم من حصلوا على أعلى النعم بل وحقيقة النعمة التي هي نعمة الهداية والتوفيق والعمل الصالح.

ومن المعلوم، أن الصراط واحد والسبل المؤدية إليه متعددة،

---

(١) سورة فصلت ٤٤.

(٢) سورة الأعراف ٤٠.

فالفقيه بفقهه، والحكيم بحكمته، والعارف بعرفانه، والطبيب بطبه، والكاسب والفلاح بمهنته وعمله، قد يتوصل إلى الله تعالى، بما منحه من عقل وفطرة. والطرق إلى الله على قدر أنفاس الخلائق شهوداً للحقائق، وعلى قدر شهود الحق تعالى، ذاتاً وصفةً، كما هو شأن الأولياء حيث يقول قائلهم: «بك عرفتك». ولذا قال تعالى بالنسبة إلى السالكين إليه ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾[١]، حيث قد أعطى الله تعالى عباده المجاهدين في سبيله ضماناً لهديهم للوصول إليه، وإن تعددت السبل، إلا أنها بعد الجهاد بزكاة النفس والعلم توصلهم إلى الصراط المستقيم.

وقد أكد ذلك في قوله تعالى: ﴿**قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾[٢]، فهو ضمان آخر لمن كان عبداً مجاهداً للوصول إليه، وإن الغاوين غير هؤلاء لأنهم ليسوا بعباد حقاً. كما وأنه أرشد عباده الذين لا يريدون الوقوع في شباك الشياطين لتحصينهم، قائلاً: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[٣]. ومن المعلوم أن المراد من الآية هو سيد الوصيين علي أمير المؤمنين عليه السلام، حتى لا يصبح أذناب الشياطين، من الحكام الجهلة الظالمين ووعاظ السلاطين، من يرسم للناس مناهج ربهم إلى الصراط المستقيم. بل لا يكون الهادي إليه، إلا خلفاء النبيين لا

(١) سورة العنكبوت ٦٩.
(٢) سورة الحجر ٤٢.
(٣) سورة المائدة ٥٥.

كل من هبّ ودبّ من الدجالين والمنافقين.

فهـذه سـنة الله في خلقه، ولا تبديل لسـنة اللـه. ومن بعد عن سـنن الله تعالـى بتبع الهوى، ومتابعة الأكثريـة والحكام، جمعه الله تعالى مع أئمته يوم الحسـاب من شـياطين الجن والإنس. وقد أخذ تعالى على الأقلام، وإن كانت طالما غالطت نفسها، وكابرت الحق، وحاولـت أن تكتـب فـي صحاحها خـلاف الواقع إلا أنـه أبى إلا أن يجـري على أقلامها ما هـو الحق. حيث قد جاء فـي صحاحهم عن الرسـول ﷺ: «أن الأئمة او الخلفاء أو الأمراء من بعدي إثنا عشر كلهـم مـن قريش». كما جاء ذلـك في صحيح البخـاري وغيره. وما ذاك إلا إتماماً للحجـة ليـوم الحسـاب. وإن راح ليعـرض عن ذلك القارئـون، ويمـروا عليه مرور الكـرام غير متأملين فـي معناه، حينما يصدم الحق أسماع المعاندين والتائهين. كما وأنه قد جاء في حديث آخـر متفـق عليه وهـو: «من مـات ولم يعرف إمـام زمانه مـات ميتة جاهليـة»، حيث أنه لـو قال القائل لأي احد من المسـلمين هل أنك لو متّ ولم تعرف الحاكم الفلاني في بلادنا الإسلامية، على ما أنت عـارف به، ما هـو عليه من الغواية والجهل والظلـم. هل تموت ميتة جاهليـة؟ وهل تـرى بعدم معرفته،أنك تخرج مـن طاعة الله تعالى؟ لقال لك، بكل قطع و إصرار: «حاشـا لله ذلك، وحاشـا لنبيه ﷺ نبي الرحمة، أن يقصد أمثال حكامنا من الظلمة والجهلة والفاسقين، فبقـاء مثل هذه الأحاديث في صحـاح العامة، إنما هو لإتمام الحجة ليوم الحساب».

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾

المغضوب عليهم، المعاندون المصرون على الباطل بعد عرفانه. ولكن بعض الروايات تشير إلى أنهم اليهود، فيكون ذلك من باب ذكر المصداق. حيث أن بعض علماء اليهود كتموا الحق، وخالفوه عناداً. فإذن لا يراد من ذلك، إلا بعض علمائهم، وليس للتحديد والحصر بهم. كما وأن بيان المصداق غير المفهوم من الآية، بما هي آية حيث لها دلالتها العامة، الدالة على غضب الله عليهم، وعلى غيرهم من الذين تشير إليهم الآيات، على أنهم من المغضوب عليهم كالطواغيت، ومن يقتل مؤمناً متعمداً وغيرهما كثير. لكن قد يقال كيف تشير الروايات، ولو بنحو المصداق البارز، إلى بعض علماء اليهود وهم من أهل الكتاب، وتترك الملحدين والمشركين والجبابرة من الحكام، وغيرهم من فرق المتكبرين، والكثير من الدجالين. حيث يتضح ذلك بتقديم مقدمة، نسترشد بها لنعرف من هم أشد عناداً للحق.

فنقول، إنا إذا جئنا إلى المسلمين لوجدنا النواصب منهم، أشد حقداً على مذهب الحق من غيرهم، حيث يراهم المتتبع قد تركوا المشركين والملحدين واليهود والمستعمرين والمحتلين للبلاد الإسلامية، وراحوا ليعيشوا ليلهم ونهارهم، أحقادهم الطائفية ضد مذهب الحق، عناداً بدوافع الحقد والجهل المدعوم بالخوف على المصالح الشخصية. حيث يجزم الإنسان أنه ليس هناك من هو أشد حقداً وخطراً على مذهب أهل البيت، من أمثال هؤلاء النواصب

الحاقدين. وبذلك يطمئن أنما تشير إليه الروايات، من جعل بعض علماء اليهود، أبرز مصداق للمغضوب عليهم، لأنهم من أشد الناس حقداً على الإسلام. وبذلك يكون الأمر واضحاً.

كل ذلك، إن قلنا أن المراد من الغضب الإلهي غضبه عليهم لحقدهم على الإسلام والمسلمين. كما يكون غضبه على النواصب، لحقدهم على مذهب الحق. وقد نقول إن غضب الله تعالى عليهم أعم من ذلك، بما يشمل عنادهم ولجاجهم في كل الأمور. حيث أن من خبثت سريرته دفعت به إلى العناد في كل شيء. ومن تتبع خلافهم لنبي الله موسى عليه السلام، وكذلك لنبي الله عيسى عليه السلام وبقية النبيين، يجد ذلك واضحاً. وهذا ما جعلهم من المغضوب عليهم .كما وأن من خالفوا الحق بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وانقلبوا على الأعقاب، هم من أبرز مصاديق المغضوب عليهم لعرفانهم للحق. ومن أبرز هذه المصاديق، هم الناكثون والمارقون والقاسطون، الذين حاربوا إمام الحق علياً عليه السلام، لأنهم خالفوا الحق بعد عرفانه، عناداً ولجاجاً بدوافع الأحقاد والمصالح.

وبالجملة، إن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين عرفوا الحق وخالفوه، لأهوائهم عناداً للحق لا شك أنهم أشد عقاباً عند الله من الجهلة المشركين.

وثانياً نقول: إن من حقد على الحق لمصالحه الشخصية، وغطاها بالمظاهر الدينية، لهو أشد من غيره خطراً على الحق. ولذا راحت الروايات، لتذكر هؤلاء بالإسم، حيث يكون النفاق المتلبس

بلبـاس الدين والتقوى لا أخطر منه علـى وجه الأرض. وليس هناك مكان في الجحيم أشـد منـه، حيث أن المنافقين في الدرك الأسـفل مـن النار، وهذا مما لا مانع منـه. ولذا لا يمكن أن يقال: كيف يكون بعـض علماء اليهود مـن أبرز مصاديق المغضـوب عليهم، حتى من الملحدين والمشـركين والطواغيت؟ وذلك لأن المعاند عن بصيرة وعلـم، أولى بالغضب مـن الجاهل. وإن كان المغضـوب عليهم له مفهـوم عام، وهـم كل من لعنهم الله تعالى فـي آياته الكريمة. حيث يكـون منهم من قتل مؤمناً متعمداً، ومن حـرّف الكلم عن مواضعه. وقـد ورد عـن علـي عليه السلام: «كل من كفر بالله فهـو مغضوب عليه». كمـا وأنـه مما لا شـك فيـه أن الظلمـة والطواغيت مـن المغضوب عليهـم، ومن أبـرز المغضوب عليهم من المسـلمين هـم النواصب الذيـن عانـدوا الحق وحاربـوه، طيلة القـرون، من وفاة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليومنا هذا، حقداً على مذهب أهل البيت وتأييداً للحكام.

وها هنا، قد ترد بعض الشبه، بالنسبة لما ورد في سورة الحمد، نشير إلى بعضها وندع الجواب عنها لمحاضرة أخرى. وإن من جملة هـذه الشـبه، أنه قد يقـال: إن طلب الهدايـة في قوله تعالـى: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾، كيف يكون لمن هو مهتد ومؤمن بالله ورسوله وكتبه؟ وعليه فيكون هذا الطلب من باب تحصيل الحاصل.

ومن الشـبه في المقام أيضاً، أن يقال: إن الدين الإسلامي، هو أكمل الأديان فكيف يطلب المسلم المؤمن من ربه طريق الذين أنعم الله عليهم من المتقدمين وهو يعيش شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟

ومن الشبه أيضاً أنه: ما هو ذنب المتقدمين، إذا كانت شريعة محمد ﷺ هي أكمل الشرايع؟ وفي المتقدمين من العظماء كالأنبياء، والكثير من المؤمنين، والكثير منهم ممن لا يقاس بكثير من المتأخرين من أتباع محمد ﷺ.

ومن الشبه أنه: لماذا يقول الإنسان ﴿**إياك نعبد إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾، بصيغة الجمع، والمتكلم في صلاته او دعائه يتكلم، وهو فرد؟ فكيف أعطى نفسه عنوان الجمع في المقام؟

ومن الشبه أيضاً، أن طالب الهداية إنما يكون ضالاً، فهل نحن ضالون حتى نحتاج إلى هداية بعد كوننا نعيش الإيمان والمعرفة بالإسلام؟ ولو افترضنا الضلالة، بالنسبة إلى سائر الناس من المؤمنين لكن كيف يعقل تصور ذلك بالنسبة إلى الرسول ﷺ وأهل بيته الكرام عليهم السلام؟ وهم كانوا يكررون هذه الآية في صلاتهم كراراً كل يوم.

فهذه الشبه وغيرها، سنحاول الإجابة عليها بقدر الإستطاعة في المحاضرة الآتية، بإذن الله تعالى. والحمد لله.

المحاضرة الحادية عشر:

تلخيص و ردّ شُبَه تتعلق بسورة الحمد

إن مما لا شك فيه أن القرآن المجيد كتاب هداية، يسعى لتحقيق الغاية التي بعث الله تعالى الأنبياء من أجلها، وهي الهداية التي أريد بها إخراج الناس من الظلمات إلى النور بالحق والعدل، الذي أساسه معالم التوحيد ومناهج الربوبية، ليعيش الناس الكمال.

وقد ورد عن الرسول ﷺ: «إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله تعالى، فما وافق كتاب الله فاقبلوه، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط». لكن كيف يمكن لأمة العرض على كتاب الله تعالى؟ وهي تعيش الجهل بكتاب الله. وتجعل الرجال والنساء ميزاناً للحق، بدلاً من كتاب الله المجيد. وقد نهانا الرسول ﷺ عن ذلك قائلاً: «إعرفوا الحق تعرفوا أهله». فجعل

بالحق يُعرف الرجال. وقد قال علي عليه السلام: «إن الحق لا يُعرف بالرجال، إعرفوا الحق تعرفوا أهله»، لكن جهل الحق، وتمني معرفته بالرجال، دفع بهذه الأمة أن يصبح زهادها في أعينهم من هم مصاديق «الساكت عن الحق شيطان أخرس». و«من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين ليس بمسلم». حينما اعتبر هؤلاء الرجال الكلام عن الحق والعدل سياسية ليست من شأن رجال الدين، فراح ليصبح أمثال أبي ذر من يتدخل في شؤون لا تعنيه، أو من يشق عصا المسلمين. وأصبح الحسين عليه السلام بمنظارهم من مصاديق من ألقى بنفسه في التهلكة، في حين أنه لو عاش المؤمن حياة الأنبياء والأئمة وأتباعهم من الأبرار، لوجد حياتهم ثورة ضد الجهل والظلم.

وهذا ما ساق الرسول محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، أن تتكالب عليه طواغيت العرب والعجم، وهو بنفسه ما جعل الأئمة عليهم السلام، يتضايق من وجودهم أكبر طواغيت العرب. لا يقر لهم قرار إلا بقتلهم، أو بجعلهم يعيشون في السجون او المعسكرات. وهو بنفسه ما جعل أمثال أبي ذر يموت في صحراء الربذة. وأصحاب الأئمة الخلّص بين قتيلٍ وفار، من طواغيت المسلمين. وإلا فلو كان هؤلاء العظماء، ككثير من علمائنا محور كلامهم، لا يتجاوز طهارة ونجاسة، بمعزل عن الدفاع عن حقوق الشعوب المضطهدة وتوعيتهم لافتخر بهم الجبارون، ولقال قائلهم هؤلاء الزهاد، الذين تركوا الدنيا بما فيها أبناء عمومتنا لكن لا سلم بين الحق والباطل، والعدل والظلم.

فخير سبيل لمعرفة الحق وأهله والباطل وأهله، أن يعيش

المؤمـن سـيرة الأنبياء والأئمة الكرام، وسـيرة شـيعتهم بحق، كأبي ذر ومالك الأشـتر وحجر بـن عدي، وغيرهم من الأبـرار. فإن بهذه السـيرة العطرة سيشاهد الكتاب المجيد والسنة النبوية متجلية. ومن أراد فهـم الكتـاب والسـنة النبوية بمعـزل عن سـيرة الأولياء، عاش الحيـاة ضياعاً، وظن الزهد المصطنع للتخلص من قيود المسـؤولية شرعاً.

وعن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع». وقال علي عليه السلام: «رحم الله امرئ رأي حقاً فأعان عليه ورأي جوراً فرده». فمن هذه الأحاديث والآيات الشـريفة الناهيـة عن كتمـان الحق ومـن سـيرة المعصومين عليهم السلام، والصالحيـن من أتباعهـم، يُعرف أنه لا يحلّ للمؤمن، ولاسـيما من كان من العلماء، أن يجلس في بيته، ولا يبالي بما يقع على المجتمع من ظلم وجور وعدوان. ومن هوان الدنيا على الله تعالى، أن تسمي الأمـة المسـلمة، أمثال هـؤلاء العلمـاء بالزهاد. لأنهـم لا يتدخلون بشـؤون الدنيا. وكأنمـا الدين والتقوى أن يكون العالم، قالباً قدسـياً تتبـرك الناس بأطـراف عباءته، وينظرون إلى نـور الإيمان في ثفنات وجهه، ولا يرون بسيرته ثورة ضد الظلم والباطل.

المراد من السورة والآية

ولا بـأس هاهنا أيضـاً، تلخيصاً لما تقـدم، أن نذكر المراد من كلمة السورة والآية. وما احتوت عليه سورة الحمد، من إجمال لكل الكتاب المجيد.

فالسـورة، إما بمعنى الإبانة أي الفصل لشـيء عن شـيء آخر، وهي هاهنا إبانة سـورة عن سـورة أخرى وجمع سـورة سـور، بفتح الواو، وقد تجمع على سـورات وقيل السورة مأخوذة من سور البلد لشـرفها وإرتفاعهـا وإحاطتها بالآيات وقيل السـورة مصطلح قرآني للتعبير عن الوحدة التي تضم عدداً من الآيات الكريمة.

والآيـة بمعنـى العلامـة، ومـن ذلـك قولـه تعالـى: ﴿إِنَّ آيَـةَ مُلْكِهِ﴾[1]، أو الإمارة الدالة على شيء. واعتبرت سورة الحمد أساساً لجميع ما جاء في القرآن المجيد، لما تتضمنه من معان تشير إلى كل مـا جاء في هذا الكتاب. حيث أنها تتعـرض للحمد والثناء على الله تعالى، والإقرار بالمبدأ وصفـات الحق، والتذكير بالمعاد، والهداية والضلالة والإيمان، وكيفية خطاب الله تعالى، والعبادة ونفي الشرك والإشـارة إلى تقسـيم النـاس إلى ثلاثة أقسـام: من أنعـم الله عليهم وهم المتقون، ومن غضب عليهم وهم الجاحدون المعاندون، ومن ضلوا الطريق وهم أكثرية البشر على وجه الأرض.

وأما الشبه وردها

فمن هذه الشـبه أنه، لماذا نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْـتَعِينُ﴾ بصيغة الجمع، والحال أن المصلي أو الداعي ربه، هو شخص مفرد وليس بجمع؟

والجـواب، أن الشـريعة بتمامهـا عبادة، وليسـت هي الصلاة

---

(١) سورة البقرة ٢٤٨.

ذات الأركان فقط، التي تكون في أوقات معينة إبتداءً بالتكبير وانتهاءً بالتسليم. نعم الصلاة ذات الأركان من أبرز مصاديق العبادة، التي هي الخضوع والتذلل بداعي المعرفة والحب لله تعالى، حيث أنها تجمع معالم التوحيد جميعاً، بما تحتوي عليه من معارف قولاً بإشعار القلب بها، وبما تحتوي عليه من أفعال تبلغ بالمؤمن أن يضع جبهته على الأرض، لإذهاب روح الكبر والغرور، وللمس الفقر، والحاجة إلى الله تعالى بالفعل بعد القول. وإذا كانت حقيقة العبادة قد خلق الجن والإنس من أجلها، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[1]، هي شريعة الحياة التي جاء بها النبيون. فإذن ما ذاك إلا لأن المسلم الحقيقي على لسان ربه، لا يرى نفسه، إلا فرداً من أمة تعيش السير والسلوك إلى ربها، وأن العزلة ليست ديناً، ولا زهداً، بل الدين واقع إجتماعي إنساني لا يمكن تحقيقه، إلا من خلال التعاون والتواصي بالحق، والصبر من أجل تحقيقه، علماً وعملاً. وأن من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم.

فالإتيان بصيغة الجمع، هو بيان واقع حال المسلم على لسان ربه العارف برسالات السماء، التي هي دين الإنسانية، بتحقيق العدل الإلهي على وجه الأرض والسعي من أجل ذلك، حيث أن غير ذلك، لا يكون إلا رهبنة ابتدعوها، ولو كانت في دين الإسلام، او نفاقاً تلبس بلباس الدين. حيث أن من لم يحس بالمسؤولية تجاه ربه والأمة، وإن عاش ليله ونهاره تسبيحاً وذكراً، فهو ليس إلا

---

(١) سورة الذاريات ٥٦.

مـن مصاديق السـاكت عن الحق شـيطان أخرس. وإن سـماه العامة لجهلهم بواقع الزهد والتقوى زاهداً.

فالمؤمـن الحقيقـي يعيش روح الحب للآخرين والإحسـاس بالمسـؤولية. وكما يريد الكمال لنفسـه يريـده لمجتمعه. ولذا ألفت اللـه تعالى نظـر المؤمن، إلى أن العبادة لا تكـون إلا بصيغة الجمع. وكذلك الإسـتعانة ليعيش المؤمن هـذا الواقع الرفيع، من أنه لا دين إلا بالعطـاء، بـكل ما لـدى المؤمن مما منحه اللـه، ليعيش المجتمع كنفس واحدة نحو سلوك الغاية.

فـإذن ليس القـول بأنه، لماذا جـيء بصيغة الجمع فـي العبادة والإسـتعانة؟ إلا شبهة لا قرار لها لدى كل من عرف الإسلام بواقعه الإنساني، القائم على الحق والعدل. وما ذلك إلا لأن الرسول ﷺ إنما بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، وهكذا يجب أن يكون المسـلم سالكاً مسالك نبيه الكريم.

وبالجملة فسواء فسرنا العبادة بالصلاة، التي يقوم بها المؤمن، في كل يوم بنحو الفرض او الندب أو فسـرناها بالنهج العام الإلهي، الذي يعم العقيدة والعمل، في كافة شؤون الحياة، فإنها لا تحقق لها، إلا إذا كانت تحمل روح المسـؤولية والشـعور الإنسـاني، للوصول إلـى الكمـال والهدايـة للآخريـن. ومـن أراد الكمـال والهداية فقط لنفسـه، بلا أن تدفع به عبادته واستعانته بالله تعالى، لإعانة الآخرين وخدمتهـم، لا تكون العبادة منه عبادة مثمـرة لأن من لا يحمل روح الإسـلام الذي هـو المحبة بين العبـد وربه، وبين العبـد والخلق، لا

يكـون دينـه حقيقة ديناً ولا عبادته عبادة ولا طلب الإسـتعانة من ربه عطـاءً يحي به نفسـه والآخرين. ولـذا أراد الله تعالـى أن يلفت نظر عبـده المؤمن، إلى أن العبادة والإسـتعانة للوصول إلى الكمال، من راهب منعزل عن الخلق، او ممن لم يُشـعر قلبه بالترابط الإجتماعي كأمة واحدة، تتحرك نحو الغاية، لا تكون تلك العبادة والإستعانة في صـراط الله المسـتقيم. فالمؤمن عطاء بروحه وعقلـه وخُلُقه وماله، وكل ما منحه الله تعالى لإحياء الحق، وإقامة العدل.

والذين تلبسـوا صفـة العباد والزهـاد، على طـول التأريخ من رجـال الديـن، يهـوداً كانـوا أو نصـارى أو مسـلمين فإنهم مـا كانوا ليتصفـوا بصفـة الزهد، لولا جهـل الأمم بموازين شـرع الله تعالى. حيث راح البعض ليرى الزهد قالباً قدسياً، بحيث لا يرى رجل الدين ماشـياً في الشوارع والأسـواق، ليصوره في ذهنه ملكاً من الملائكة. وما كان ليتحقق ذلك، لو عاش الناس سـيرة الصالحين من الأنبياء، والأئمة وأتباعهم بحق، كأبي ذر وسـلمان والمقداد ومالك الأشـتر الذيـن كانـوا على طول التأريخ ثـورة ضد الباطـل والظلم. في حين أن المتأمـل بالروايات الواردة عن الحجـة المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) يرى وبوضوح، أن رجل الدين هو من تلجأ إليه الناس في حـوادث الدهور، ليكون راسـماً لهـا خطى الحق والعـدل ولذا قال (عجل الله فرجه الشـريف): «وأمـا الحوادث الواقعة، فإرجعوا فيها إلـى رواة حديثنا». فهؤلاء الرجال هم سـند هـذه الأمة، في حوادث الدهـور. وحجج اللـه على خلقـه. والحوادث كما تعلمون ليسـت حكمـاً شـرعياً، بل هي واقع ما تعيشـه الأمة في كافة شـؤون حياتها

ليكون رجل الدين منار هدى لها، تستبين بسيرته معالم الحق والعدل لأن من المعلوم أن بإقامة الصلاة في المساجد، وبيان الطهارة والنجاسة، وتحجيم الأمر بالمعروف بالأمر بالصلاة، والنهي عن المنكر بالنهي عن شرب الخمر لا يتحقق ما كان غاية لبعثة الأنبياء ولا يصبح رجل الدين مصداقاً لما أشار إليه الحجة (عجل الله فرجه الشريف) في قوله: «وأما الحوادث الواقعة فإرجعوا فيها إلى رواة حديثنا».

هدانا الله وإياكم، لمعرفة دينه بسيرة محمد وآله الأطهار، وبسيرة الأنبياء والتابعين لهم بحق، على طول التأريخ لكي لا يكون فعل الرجال علماء أو صحابة، بديلاً عن هذه السيرة العطرة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحاضرة الثانية عشر

الشبهة الثانية: حول قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾

الشبهة الثانية هي، أنه: كيف يطلب المؤمن المصدِّق برسالات ربه هداية، حيث يقول ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، والمؤمن يعيش الإيمان؟

فهلا يكون ذلك من تحصيل الحاصل؟ أي طلباً لما هو متحقق بالفعل. كما وأنه قد ترد الشبهة بلسان آخر، وهي أنه هل نحن ضالون بعد عرفاننا والتزامنا بما آمرنا الله تعالى، والإجتناب عما نهانا عنه حتى نطلب الهداية؟ ولو افترضنا في حق أنفسنا ذلك، فكيف يفترض طلب الهداية بالنسبة إلى من هم سادات الخلق، وهم محمد وآله الكرام (عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام)؟ في حين أنهم كانوا يعيشون تكرار هذه الدعوة من ربهم أي -اهدنا الصراط

المستقيم- كل يوم في صلواتهم وفي دعواتهم وفي خلواتهم مع معبودهم.

وأما بالنسبة، الى رد هذه الشبهة فنقول: إن الهداية قد تطلب تارة ويراد منها تحقيق المزيد من الحكمة العلمية، بعيداً عن الغلو إفراطاً، والتقصير تفريطاً، في ميادين اليقين بالمعارف الإلهية. وتارة أخرى يراد منها، طلب تحقيق الإستقامة على الطريق سلوكاً، كما يريد الله تعالى بتبع شهود سيرة من جعلهم الله أسوة لطلاب الحق محمد ﷺ وآله الكرام عليهم السلام. ومن بهم تتجسد مسالك الربوبية من الأنبياء، وعباد الله الصالحين، كأبي ذر ومالك الأشتر وزكريا بن آدم، وغيرهم من الأبرار حيث تكون الحكمة العملية، بتطبيق مناهج الحق. وذلك لأن من سعى لتحقيق شهود الحق بالكتاب والسنة بمعزل عن سيرة الأولياء عاش الخطأ، مهما بلغ به العلم مكانة. ومن المعلوم أن كلتا الحكمتين تحقيقهما، كما يريد الله تعالى لا يكون إلا لمن كان له حظ عظيم.

ولبيان ذلك نقول، إنه لمن الواضح أن حق الهداية وتقوى الله حق تقاته، يتوقف على زكاة النفس لإذهاب الحجب بينها وبين ربها، وإيقان هو أعلى مقامات المتقين، للعروج الى الله تعالى بمشاعل العلم النافع ولا ننسى أن ما أوتي البشر من العلم، ليس إلا قليلا. وبعظيم مقام العلم يستطيع السالك سبل ربه تحقيق مراتب الإيمان. وهذا كله بغض الطرف عن أنه لا نهاية للحق تعالى، ذاتاً وصفةً، التي منها العلم والحكمة والسلوك لغاية لا متناهية، من قبل العبد

إلـى ربه يطلبها أولوا الأبصار، طلب العاشـقين. والله تعالى كل يوم هو في شأن جديد، به يكون العلم بحوراً دفاقةً بأمواجها اللامتناهية، ليكون السـالك سـبل ربه يعيش الكمال، مسـايرة مع الأيام الربوبية. وإن كان تقـوى الله حـق تقاته، لعلها من الممتنعـات، او لا أقل هي من شأن الأوحدي من الخلق، وهم قلة من الناس.

فالمؤمنون المخلصون، بفتح اللام، هم سلّاك سبل ربهم حقاً نحو اللانهايات. وبقية المؤمنين كل على قدر سـعة وجوده وإيمانه. وذلـك لأنـه تعالى غايتهـم ومعشـوقهم. وبتبع هذا البيـان يتضح أن تصور النهايات للهداية، او ظن الكمال المطلق، قول غير سـديد من قائلـه. بل الأمر بعكس ذلك بمعنـى أن طلب المزيد من الهداية، هو واقع حال المؤمنين، للمسـهم فقر ذواتهم، وشـهودهم لأنوار ربهم اللامتناهيـة. فضـلا عن أمثالنا مـن الجهال القاصريـن والمقصرين، حيث يكون طلب الهداية واضحاً.

فالمؤمنون المخلصون يتسـابقون في ميادين الأنوار الربوبية طربـاً، نحو غاياتهم. ونحن نبذل الجهـد لتطهير النفوس من حجب ظلماتها سـعياً، وراء شـهود الحق أولاً، ثم العروج إليه تعالى بأقدام ملؤها الضعف، وعزيمة ملؤها الوهن.

فـإذاً، وإن كانت أصـل الهداية حاصلة للمتقيـن إلا أن مراتب الهداية والكمال، لا يحد بحد. فهؤلاء لشـهود أنوار ربهم، يعيشـون هياماً وعشـقاً، سـالكين نحو الكمال. هدانا اللـه وإياكم إلى صراطه المسـتقيم، مـع أوليائـه الصالحين وعبـاده المخلصين، قبـل يوم لا

ريب فيه، ولا مفر منه، ينتظر الخلائق طرّاً للوقوف أمام محكمة عدل إلهية ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ، وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[1].

ولذا، يجب القول متضرعين إليه تعالى، بما قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «إلهي ارحمني إذا انقطعت حجتي، وكلّ عن جوابك لساني، وطاش عند سؤالك إياي لُبي». حيث لا مخلص لأحد من محكمة العدل الإلهية، التي هي غاية الخلق لا بنسب ولا حسب، ولا بجاه ولا مقام، ولا بمال ولا ببنين، ولا بعلم ولا بمظاهر قدس. إلا من أتى الله بقلب سليم، وذلك يوم تبيّض فيه وجوه قوم، وتسوّد فيه وجوه قوم آخرين.

وأما الهداية بالنسبة الى الحكمة العملية، بالسير والسلوك على الصراط المستقيم وطلب الإستقامة والثبات فيها فتلك من أهم مواطن الإختبار الإلهي في دار الدنيا، حتى قال في هذا الموطن معجزة عالم الإمكان الحبيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم: «شيبتني آية من سورة هود»، حيث يقول تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2]، وذلك لأنه كم وكم من مؤمن على طول التأريخ، لقلة صبر او قوة شهوة وهوى، غيّر وبدل او ضعُف في مواطن مزالق الأقدام، حيث البأساء والضراء، او زبرج الدنيا،

---

(١) سورة الحج ٢.
(٢) سورة هود ١١٢.

ومظاهر حسنها. وكم وكم من سالك سبل ربه، فتنته الأموال، او صنع منه السلطان جباراً، او العلم متكبراً، فتبدل حُسن الخُلق جبروتاً. فأصبح بعد الدعوة الى الحق والعدل قائداً للمجرمين، او من المكرة والشياطين، او صار من أعوان الظلمة، وأذناب السلاطين. وتأريخ البشر مليء بالذين غيّروا وبدلوا بعد عرفانهم. وكم من أمة بعد صدق النية، وقوة العزيمة أصبحت بعد نبيها مصداقاً للمنقلبين على الأعقاب، تحمل يوم القيامة راية المنافقين. وتقف بعد حُسن جهادها تحت راية المنقلبين على الأعقاب، حينما حليت الدنيا في أعينهم.

أجل إن الإستقامة على الطريق، عملاً من أصعب الأمور، وأهم مواطن طلب العون من الله تعالى، لأنها محل مزالق الأقدام. وهكذا هي الناس ضياعاً في هذه المواطن، حيث يعيشون واقعاً، أشار إليه تعالى بقوله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[1].

وقد عاشرت أقواماً، لا أظنهم كانوا من المنافقين او الدجالين، ولا من العُمي المسيسين، ولا من الجهّال الضالين. لكن الدنيا فتنتهم بزبرجها، ومظاهر كراسيها. وإذ بهم بعد أن ذاقوا كؤوس خيلاء العظمة، نسوا كل ما كانوا من أجله يسعون من الحق، ومخالفة الظلم والظالمين، حتى أصبح بعضهم من قادة المجرمين، ناسياً البؤساء والمحرومين الذين كان هو أحدهم.

فيا لله والعجب كيف أصبح ذلك النسك والتواضع، والقول

(١) سورة العلق ٦.

بالحـق والدفاع عن المظلوم، بعد السـلطة جبروتـاً وطغياناً؟ وكيف أصبح حسـن الخلق كبراً، وأصبح الواحد منهم ذئباً ماكراً، او أسـداً ضارياً مفترسـاً، لا يرحم صغيراً ولا كبيراً، ولا يتيماً ولا أرملة؟ وقد كنت قبل ذلك أسمع، أمثال ذلك قصصاً في تاريخ الأمم السابقة من أن فلاناً كان قبل السلطة والحكم، يُعرف بحمامة المسجد وأن فلاناً كان من مدرسـي كتاب الله المجيد، او أنـه من حفظة القرآن، او من أصحاب الأئمة عليهم السلام.

فـكل هـذا الذي أشـرنا إليه، فـي مواطـن الحكمتيـن العلمية والعملية. إنما هو لدفع الشبهة بالنسبة إلى سائر الناس من المؤمنين. وأما ما ورد من شـبهة، بالنسـبة إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الكرام من أنهم، كيف يطلبون في كل صلواتهـم وغيرها من ربهم، الهداية للصـراط المسـتقيم، وهـم كتـاب اللـه الناطـق، وكلماتـه التامات، ومظاهر أسمائه علماً وعدلاً وحكمة؟

فنقول: إن مما أشرنا إليه، إتضح الكثير مما يتعلق بهذه الشبهة، حتى بالنسبة الى هؤلاء العظماء حيث أن الكمال المطلق، شأن إلهي، وكل مـن في الكـون طالب من ربه مزيداً من العلم والإسـتقامة،كما ورد فـي قولـه تعالى: ﴿**وقُل رَّبِّ زدني عِلمـاً**﴾ وكما ورد أيضاً على لسانه «اللهم أرني الأشياء كما هي».

فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الكرام عليهم السلام أكثر من غيرهم، لمساً لفقر عالم الإمكان، وفقر ذواتهم وكونهم محتاجين إلى بحور فيضه تعالـى، بما له مـن لانهاية الوجود حيث أنهم يسـيرون إليه لأنه غاية

الغايـات وأن العطـاء منه غير متناه كما وأن السـير إليـه بتبع، لا نهاية ذاته يكون غير متناه أيضاً.

فإذن ما أورد البعض في المقام من شـبهة، لا اسـتقرار لها عند ساطع البرهان، وواسـع الشهود لأصحاب البصائر كما وأن من قال من العلماء بأن الرسـول ﷺ، او هو وأهل بيته الكرام، قد أعطاهم الله تعالى كل ما هو من شـأنهم فلا فرض لمزيد بالنسـبة إليهم، فهو كلام غيـر صحيـح لأن عطـاء الله لا حدّ لـه. وأن العوالـم طرّا حتى عالـم الآخرة متغيـر ومتبدل، فلا سـماوات ولا أرضيـن، ولا جنان ولا نيـران تبقـى على مـا هي عليـه، مادامت مرتبطـة بالواحد الأحد اللامتناهـي ذاتـاً وصفةً وفيضاً وهم أولى من غيرهم بمسـايرة الأيام الربوية، للسـير نحو الكمال، حيث لا كمال مطلق، إلا لله. والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة الثالثة عشرة

الشبهة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿صراط الذين انعمت عليهم﴾

وهـي أنه: إذا كان الدين الإسـلامي أكمل الأديان، فكيف بعد ذلك يطلب المسلم المؤمن من ربه طريق الذين أنعم الله عليهم من الأمم السابقة، وهو يعيش شرع الإسلام؟!

وفي الجـواب نقول: **أولاً**: وقبل كل شـيء الدعاء في مواطن عمل وسـلوك كان لأولئـك العظماء الذيـن كانوا شـهوداً للحقائق، وموازيـن للعقل، وثورة ضد الباطل والظلم، حيث أنهم كانوا ظهور آيات الله، ورسام شرعه، حيث أن الدين عند الله الإسلام، وهو شرع اللـه الـذي جاء به الأنبياء عليهم السلام من لدن آدم إلـى النبي الخاتم، ولذا ما كان إبراهيم عليه السلام يهودياً ولا نصرانياً، بل كان حنيفاً مسـلماً. كما وأن عيسى عليه السلام كان من المسلمين، لأن أسس السلام والإستسلام،

إلى الحق واحدة بين جميع الأنبياء والمرسلين، والصراط المستقيم واحـد، وهو ما سـار عليه جميـع المؤمنين على طـول التأريخ. وهو تلك القيم الرفيعة التـي ما جاء الأنبياء الكرام، إلا لإحيائها والتذكير بهـا. وهذه القيـم الفطرية لا تزيـد ولا تنقص، ولا تتغيـر ولا تتبدل، إلا أن تتبدل هوية الإنسـان. وعندها لا يكون الإنسـان إنساناً. وتلك هي مكارم الأخلاق، كالصدق والعدل مثلاً، حيث يكون بها شـهود الحقائق، بلا حجاب. كما وأن قيم العقل، وأصول الدليل والبرهان، وسـبل الوصول إليها، أصول مشـتركة بين أبناء البشـر جميعاً، ولذا يصبح البصر عند رفع الحجاب، لدى الجميع يوم الحساب حديداً. وكذلـك هو في دار الدنيا في مواطن أشـار إليها تعالـى قائلاً: ﴿**فَإِذَا رَكِبُـوا فِي الْفُلْـكِ دَعَوُا اللَّـهَ مُخْلِصِينَ لَـهُ الدِّيـنَ**﴾[1]. وهي مواطن تنقطع فيها جميع السـبل التي تكـون حجاباً، حيث يصبح عندها كل أحد من المخلصين لدين الله.

وعليـه فنقول: إن الدعاء إنما هو إلى هـذا الصراط الذي أنعم اللـه تعالـى به على عبـاده المؤمنيـن، حينمـا اختاروه بـإرادة ورغبة الـى الحق، وهـو صراط واحـد وإن تعددت السـبل الموصلـة إليه، واختلفَـت مـن حيث الزمان والمـكان، ومن حيث مراتـب العقول، وإن الأديـان، إنمـا جـاءت لتحـرك دفائن العقـول، ولتذكـر بمعالم الفطـرة، التي قد تخدش تحـت تأثير الحضـارات والتقاليد والتربية والسلائق والرغبات والشهوات، وغير ذلك من العوامل.

---

(١) سورة العنكبوت ٦٥.

فالبقـاء على كون الفطرة والإسـتقامة، على ذلـك عظيم مقام كان عليـه جميـع الانبياء والأوليـاء. ومن عاش الفطـرة عاش معالم التوحيد، وموازين العقل، والنفور من الباطل، وحب العدل، وجميع القيم الإنسـانية. ونحن حتى ولو عشنا واقع الشريعة الإسلامية، من حيـث أحكامها، لكن بذلك لم نكن أعظـم مقاماً، ممن كانوا مظاهر الأسـماء الربوبية، وموازين العقل، وتجسيد الفطرة، وتحقيق الخلق الربوبي، حيث أنه قد ورد أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام على صورته، أي مظهراً لأسمائه، ومجسداً لمعالم الربوبية والتوحيد.

فأين نحن، ولو كنا من سـلاك شـرع الإسـلام، من هذا الكون العظيم، الذي كان للأنبياء والأولياء الكرام.

وثانياً: هبْ أن هناك مزيداً لشريعة الإسلام، من حيث القوانين والأحـكام لكن ذلـك لا يعني أن تقيّم أسـس معـارف التوحيد، بما تحمل من بطون وأعماق وعظيم الخلق وأبعاد الحق والعدل وما هو من شـأن شـهود الصديقين، لملكوت عالم الإمـكان، وباطن الحياة الدنيا، بما هو من شـأن الأحكام الشـرعية، لأن الأعمال لا تقيّم، إلا ببعدهـا المعرفـي وخلـوص النية، وأين نحن كأتباع شـرع الإسـلام مـن أولئك العظماء مكانة ولقد كان من بلـغ تلك القمم العوالي من الماضين، أكثر بكثير من المتأخرين حيث كان فيهم ذلك الكم الهائل من الأنبياء والأوتاد، حيث أن تلك المعارف الربوبية لا تقيدها سعة الأحـكام الشـرعية. ولـذا كان منهم من بلـغ النبوة، وهـو رضيع في المهد، او كان صبياً.

وقد كان رسول الله ﷺ نبياً وإماماً ووليّاً، بما له من الولاية المطلقة، قبل بعثته حيث أن الرسالة شأن بشري للهداية، ولا تقيم بها مكانة رسول الله ﷺ، وليس الأمر بالنسبة إليه، كما يتوهم البعض من أنه كان ضالاً في الجاهلية، كضلالة أي بدوي آخر من أبناء الجزيرة العربية، ثم أصبح حامل بريد، حينما كُلّف بحمل الرسالة. فهو قد سبق عرب الجاهلية بهدي قد يقدر بأيام او أسابيع ولذا بتبع هذه النظرة راح ليقول قائلهم أصيب ﷺ بالهلع والإضطراب و التردد حتى راح ليستعين بخديجة (رضوان الله تعالى عليها). وهي راحت لتستعين أيضاً بابن عمها، لتمييز نداء الرحمن من نداء الشيطان حتى قالت لرسول الله ﷺ لمزيد من الإطمئنان والعلم، بإنه إذا جاءك النداء، او سمعت صوتاً أشر لي، حتى ألقي ما عليّ من خمار، فإن بقي ينظر فهو شيطان، وإن ذهب فهو ملك كريم من قبل الرحمن. فهكذا نبي ليس نبياً إلا لأولئك الذين يستعينون لشرع الله وتفسيره ببعض الأحبار من اليهود.

ولو كان المزيد من الأحكام لرسالة، موجباً لمزيد من القرب والعرفان، لكان العظماء في المتأخرين أكثر وأعلى مقاماً من المتقدمين. والحال أن الأمر بالعكس، حيث أن وجود الأنبياء والعظماء في المتقدمين، هو أكثر بكثير من المتأخرين ولولا وجود محمد وآله، وبعض النوادر من البشر في المتأخرين، بما لهم من عظيم النفوس، والعلم العائد الى الفطرة، وعظيم العقل، وسعة الوجود، لما كان هناك من قياس بين المتقدمين والمتأخرين.

كما وأنه لابد من الإلتفات إلى أمر. وهو أن شريعة محمد ﷺ إنما جاءت لإحياء ما اندرس من رسالات السماء، وما غُيّر، وما بُدل بتبع الهوى، وما أخطأه الناس بتبع الإجتهادات قصوراً او تقصيراً، ولم تكن شريعة الإسلام جاءت لهدم كل ما كان، بل إنما جاءت لترسيخ أسس التوحيد والقيم الإلهية من الحق والعدل.

كما وأن شرع الإسلام، قد اصيب بكثير مما اصيبت به الشرائع المتقدمة حيث حصول الإنقلاب على الأعقاب، والإجتهاد بتبع الهوى، او الأخطاء التابعة لكثير من القصور وتأثير الزمان والمكان، وما إلى ذلك، حتى راحت لتقول الروايات، أنه عند ظهور مهدي آل محمد ﷺ يقول له القائل: يابن رسول الله، (هل جئت بدين جديد)؟ حيث يكشف كل ذلك عن مدى ابتعاد هذه الأمة عن واقع شرع رسول الله ﷺ فهماً وتطبيقاً. وهي سنة الله التي جرت بالنسبة إلى الشرائع السابقة. وإن كان قد أخذ الله على نفسه أن يحفظ كتابه المجيد من الزيادة والنقصان وتلاعب المتلاعبين.

وبالجملة الصراط هو صراط الحق والفطرة، وهو واحد وإن اختلفت الألسن المعبرة عنه، او كانت السبل إليه مختلفة، او كانت القوانين المحققة له أكثر اتساعاً بما يناسب الزمان، لكن عظيم مقام المتقدمين من الانبياء والصديقين، تابع لعظم نفوسهم قبل الإكتساب من الخارج. ولذا علّم آدم عليه السلام الملائكة الأسماء كلها، وكان منهم من آتاه الله الكتاب، وهو في المهد. وهذا الصراط المستقيم الذي قطعوه بعظيم نفوسهم وشهودهم، ليس من السهل أن يقطعه من

يريد الله تعالى ولو كان مسلماً،إلا من كان له حظ عظيم، وهم نوادر من أمة محمد ﷺ، حيث أن بقية الناس كل على قدر قد يكون قد سلك هذا الطريق، على إختلاف مراتب الإيمان والعقل والعلم. ولو أن الله تعالى يعامل الناس يوم الحساب بعدله لما نجى منهم إلا المخلصون. و لذا كان علينا أن نطلب من ربنا التوفيق بالسلوك على هذا الصراط المستقيم الصعب المنال، الذي سلكه أولئك المتقدمون الذين أنعم الله عليهم، بما صبروا، ولنا الشرف العظيم، لو نوفق لبعض ما وفقوا إليه، وأين أمثالنا من أمة الإسلام من الانبياء والمرسلين. فلكل ما يناسبه من مقام.

ومن الشبه في المقام، أنه: ما هو ذنب المتقدمين، إذا كانت شريعة محمد ﷺ أكمل الشرايع؟ وفي المتقدمين عظماء كالأنبياء وغيرهم كثير، ممن لا يقاس بهم سائر الناس من أمة محمد ﷺ.

فأقول، إن المتأمل فيما قلنا لرد الشبهة المتقدمة، سيتضح له جواب هذه الشبهة، وعليه فلا أظن أنا نحتاج الى جواب خاص لهذه الشبهة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحاضرة الرابعة عشر

تفسير قوله تعالى: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾

من بعد أن طلب العبد المؤمن من ربه، أن يوفقه ليصبح من الذين أنعم الله عليهم، أرشده تعالى الى أن يدعو، أيضاً بألا يصبح من المغضوب عليهم ولا الضالين. إما من باب التأكيد، أو لأن العبد قد يظن نفسه من الذين أنعم الله عليهم، وهو يعيش المغضوب عليهم او الضالين، لأن سبل الخروج عن موازين الحق والعدل، كما تهدد حياة غير المسلمين من اهل الكتاب وغيرهم كذلك هي قد تهدد حياة المسلمين فقد يعيش المسلم ما يجعله من مصاديق المغضوب عليهم او الضالين، وهو يظن نفسه من المتقين.

وقد اشتهر هاهنا على الألسن، بتبع أغلب التفاسير شيعة وسنة، أن المغضوب عليهم هم اليهود، وأن الضالين هم النصارى.

ولكن يجب التأمل فيما قد حصل في أيدينا من تراث، حتى لا نأخذ الأمور إرسال المسلمات او بنحو إطلاقي.

ولذا نقول، أولاً: إن الظاهر من الآية الشريفة، وبالأخص بعد عطف الضالين على المغضوب عليهم، أنهما صنفان مختلفان في الإبتعاد عن الله تعالى، حيث يستفاد أن المغضوب عليهم، هم أشد اتبعاداً من الضالين عن ساحة رحمة الله. ولذا ناسب المقام أن يقال إن المغضوب عليهم، قوم قد سخط الله عليهم لعنادهم للحق بعد عرفانه، لكبر او لمصلحة او لغير ذلك، أخذت بهم لسحق جميع الحقائق لهذه الغايات، فراحوا ليكتموا الحق وليفسروا الآيات والكتب السماوية بعد عرفانها بتبع الهوى.

ومن أبرز هؤلاء مصداقاً المنافقون في كل ملة ودين، من منافقي اليهود والنصارى والمسلمين، حيث أن هؤلاء هم الذين حرفوا الكتب السماوية، وكتموا الحقائق، ووجهوا الشرايع بتبع غاياتهم. ومن المغضوب عليهم كل من لعنه الله تعالى في كتابه المجيد، ولهؤلاء مصاديق كثيرة، وردت في الكتاب لمن تتبع الآيات، وكذلك من تتبع الأحاديث. ومنهم ما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾[1]. كما وأن من أبرز المغضوب عليهم قتلة الأنبياء والصالحين على طول التأريخ، والغضب هو السخط، في مقابل

(١) سورة المائدة ٧٨-٧٩.

الرحمة. والضلال هو التيه والضياع، ويقابله الهدى. وظاهر التيه أنه عن جهل لا عن عناد ولجاج.

إذن قبل الرجوع الى الأحاديث والتفاسير، في المغضوب عليهم والضالين نقول إن هناك آيات كثيرة تبين مصاديقهم. حيث أن المغضوب عليهم هم أسوء حالا من الضالين. فالضال هو التائه عن الحق، والمغضوب عليه إذا جعل في مقابله، أريد منه المعاند عن علم.

وقد يقال، إن المغضوب عليهم، هم العلماء المعاندون، والضالون من أضلوا الطريق، وهم يرون أنفسهم على الصواب. ومن أبرز مصاديق المغضوب عليهم، هم النُصاب. وإن كان الضلال لو لوحظ بنفسه بلا تقابل بينه وبين المغضوب عليهم، لكان بإطلاقه يعم المغضوب عليهم أيضاً. لكن عند التقابل لا يراد منه إلا الضياع والتيه، في مقابل الجحود والعناد بعد العرفان، هذا هو ما يبدو من ظاهر الأمر.

فإذن الضال بعمومه يشمل المغضوب عليهم. ولذا قال تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾[1]، فمن كذب بالهدى فهو من الضالين، كالذين كذبوا الأنبياء، والضالون هم المكذبون، ولو لبعض آيات الله تعالى سواء كانوا من اليهود او النصارى او المسلمين او من غيرهم. ويعم الأمر المشركين ومنكري الصانع أيضاً، كما وأنه جاء في الكتاب: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ

(١) سورة الواقعة ٩٢-٩٣.

﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[١]، وقد جاء أيضاً: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[٢]، فالضلال بما هو عند عدم التقابل مع المغضوب عليهم، يعم جميع الأخطاء سواء كانت عن عمد او جهل، او كانت لأي غاية أخرى، وقد قال تعالى أيضاً: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[٤].

هذا كله، لو كنا نحن، ومفهوم المغضوب عليهم والضالين. وما يتناسب مع الآيات الشريفة، لكن قد ورد في كثير من الأحاديث، أن المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى. فكيف يعقل ذلك؟ وهناك من هو أشد منهم ضلالة كالمشركين، والمنكرين للصانع، والكثير من البشر الذين يعيشون اللادينية، وعدم التفكر في توحيد أو نبوة. وإنما يريد حياة ليلتذ فيها، ولم يتجاوز تفكيره هذا الحد. فأين مثل هذه الضلالة بضلالة من يعيش المتاهات في غرب الدنيا وشرقها؟ بما للبشر من عجائب وغرائب من المعتقدات، التي لا يكاد يصدقها عاقل. فأين مثل هؤلاء بضلالتهم من أمة اتبعت نبياً كاليهود والنصارى؟ وإن اخطأت في كثير من الأمور. وهل

---

(١) سورة النساء ١٣٦.
(٢) سورة النساء ١١٦.
(٣) سورة النحل ١٠٦.
(٤) سورة الفتح ٦.

أن المسلمين بمعزل عن مثل هذه الأخطاء بعد الإنقلاب على الأعقاب؟ وما هم عليه من اجتهادات كثيرة، ما أنزل الله بها من سلطان، ومن متابعة الأمة الإسلامية علمائها تقليداً بلا تثبت، ولا علم. فكيف يُجعل المغضوب عليهم اليهود، والضالين النصارى، وأغلب المسلمين هم على شاكلتهم؟ للتهاون في الدين. وهناك من الأمم من هم أشد ضلالة، كما تقدم كالملحدين والمشركين.

أجل كثير من الروايات، تقول إن الضالين هم النصارى، لضلالهم عن الحق لعدم المعرفة. والمغضوب عليهم، هم اليهود لعنادهم.

وهاهنا، تجري احتمالات، لابد من الالتفات إليها، فمن هذه الإحتمالات:

الإحتمال الأول: أن يقال، إن الروايات إنما أشارت لبيان مصداقين، من مصاديق المغضوب عليهم والضالين. كتقريب ذهني للسائل، بعد أن انتهى دور الشرك والزندقة. وما كان المراد من ذكر المثال، ليدل على الحصر، أو كون اليهود والنصارى، هما أشد مصاديق المغضوب عليهم أو الضالين.

الإحتمال الثاني: إن الأحاديث كانت لقرائن، تشير إلى مصاديق معينة من اليهود والنصارى. ولم تقصد اليهود بما هم يهود، ولا النصارى بما هم نصارى. فهي تتكلم عن أشخاص بعينهم من اليهود والنصارى، كانا في عهد رسول الله ﷺ، فخالفا الحق، وكانت مخالفتهم عن عناد كاليهود، أو عن جهل كالنصارى. وإلا

فكيف يُعقل أن يطلق القول، في حق كل من اليهود والنصارى؟ وهما بلا شك ولا ريب، أقرب الى الله تعالى من غيرهم، ممن انكر الصانع، او عاش الشرك، او عاش حياة الضياع كالبهائم. وقد قال الله تعالى في كتابه المجيد، بالنسبة الى أهل الكتاب: ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ**﴾[1]، وكيف يمكن جعل اليهود والنصارى المغضوب عليهم والضالين، وفي المسلمين من هو أقبح منهم عقيدة أو عملاً؟

وقال البعض، إن طريقة الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به، واليهود فقدوا العمل بعد عرفان الحق. والنصارى فقدوا العلم، ولذا جاءت الروايات في حقهم، لأن من علم ثم عاند كان مغضوباً عليه، بخلاف من جهل فهو ضال تائه. لكن نقول هذا جار في أمة محمد ﷺ أيضاً. فمن ترك من علماء المسلمين العمل، كان من المغضوب عليهم، حيث يكون تركاً للحق، لغايات ومقاصد بعد العرفان. وأما أكثر الأمة الإسلامية، فهي تتبع العلماء تقليداً، حتى في الأمور العقائدية فأي خصوصية لليهود أو النصارى في ذلك؟

وبالجملة نقول: الضالون، هم من ضيّعوا طريق الحق للجهل، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، والمغضوب عليهم، من تركوا الحق بعد عرفانهم لعناد. وعليه يكون القول بأن المراد من المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى، بنحو إطلاقي

---

(١) سورى آل عمران ١١٣.

كلام غير صحيح.

وإن أمكـن أن يقال في المقام، إن الروايات التي أشـارت إلى أن المغضـوب عليهم هم اليهود، وأن الضالين هم النصارى. أرادت الإشارة إلى أبرز المصاديق، دون الحصر.

ولتقريـب الأمـر، نضـرب أمثلة لذلـك، ونقول إنـه، وإن كان الناظـر الـى المجتمع البشـري لأول وهلـة، لا يتـردد أن الملحدين والمشـركين، ومـن يعيشـون فـي الدنيـا، همهـا علفهـا، هـم أحـق بالمغضوب عليهم والضالين، من اليهود والنصارى، الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ، لأنه لا شك أن المراد من اليهود والنصارى، يهود ونصارى بعينهم، لا مطلق اليهود والنصارى. لكن من رجع الى واقـع الأمر، وجد أن مـن كان من أمة محمد ﷺ، عاش الإنقلاب على الأعقاب، بإصرار وجحود، ثم راح لغاياته الشـخصية، ليسحق جميع القيم الرسـالية، لهو أشد استحقاقاً للغضب الإلهي، من غيره. وكيـف يمكن أن يُقال إن جهلة المشـركين، مثلاً هـم أقبح حالاً من مثل طلحة والزبير، أو مَن ضلوا وأضلوا الأمة، بعد وفاة رسـول الله ﷺ، حيث أن حسـاب العاقـل العالم عند الله لأشـد من الجاهل المخالف للحق والعدل. لكن مع شديد الأسف، أن يبقى هذا الأمر مـن الأخطاء الشـائعة بين الناس. فـراح ليظن الكثير مـن الناس، أن المشـركين مثـلاً او الملحديـن، هم أشـد ابتعاداً من اللـه تعالى، من عالم إسـلامي يعـرف كل الموازين والمقاييس، فـي مواطن العقيدة والعمل، ويسـحقهما لغاياته الشـخصية!، كما وأن من عاش الجهل

المركب، لأنه أصبح يجزم أنه على الحق، في حين أنه لم يبن أسس معتقداته على أصول صحيحة حتى راح لجهل ليقول بالثالوث، وكون المسيح بن الله، فإن مثل هذا لأشد ضلالة، من ضلال لا يعرفون شيئاً من النبوة والتوحيد، فالنصارى الذين يعيشون الجهل المركب، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً، أولى بالضلالة من ضال آخر.

وعليه فنقول. لو حملنا الروايات الواردة بالنسبة الى اليهود والنصارى، لمن كان معانداً منهم، ولمن كان يعيش الجهل المركب فإنه لا مانع من القول، من كون هذين الفريقين من أبرز المصاديق، لكل من المغضوب عليهم، والضالين. كما وأن من عاش الإسلام ولمصالحه، بدّل وغيّر وحرّف، هو أشد ممن كان في زمن الجاهلية ضلالة، واتصافاً بكونه من المغضوب عليهم، وكذلك من كان من الأمة الإسلامية، وهو لا يعرف شيئاً، وقد سلم أمره للآخرين، وراح ليعيش الجهل المركب، ظاناً بأنه من أقرب المقربين إلى الله، فإنه كالنصارى من أبرز مصاديق الضالين، وعلى هذا تحمل الروايات الواردة في المقام، بالنسبة الى اليهود والنصارى، إذا حملناها على يهود ونصارى بعينهم، كانوا في عهد رسول الله ﷺ، وليس كما ظنّ البعض، أنها غير معقولة، أن تنسب إلى اليهود والنصارى، وتترك الملحدين والمشركين. والله هو العالم بحقائق الأمور، والمسدد إلى الصواب.

الخاتمة

يستفاد عند التأمل، مما تقدم من تفسير سورة الحمد، لكونها أم الكتاب التي أوجب الله تعالى قرائتها في كل صلاة، أن بها جميع موازين الحق والعدل، أصولاً من حيث المعتقد علماً، ومن حيث الخُلق والعمل الصالح سيراً نحو المعالي بكل ما للصراط المستقيم، من واقع على صعيد الحكمتين النظرية والعملية الواقع الذي أراده الله تعالى منهجا للحياة يعيشه العبد السالك في صلواته، واجبة كانت او مستحبة، سبل ربه حينما تصبح الصلاة التي هي عمود الدين ومعراج المؤمن وقربان كل تقي، ناهية عن الفحشاء والمنكر، آمرة بكل خير ومعروف، للوصول إلى الغاية التي خُلق الجن والإنس من أجلها، عروجاًإلى منازل المقربين، في جوار الأنبياء والأولياء والشهداء والصالحين، وذلك حينما تصبح الصلاة صلة بين العبد وربه لا لقلقة لسان وعادة، قد لا تحمل في طياتها، ولو كانت صلاة العمر بكله ثقل ركعتين من صلاة عابد عالم، عاش الخلوص بعد طهر النفس وزكاتها، حيث أن الميزان يومئذ في دار القرار، هو الحق

دون غيره من شتى العناوين التي توزن بها الأمور عند أبناء الدنيا، حينما يظن أهلها أن للنسب أو الجاه والمقام والألقاب والعناوين ميزاناً عند رب العالمين، وهي جميعاً من قيم الجاهلية، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1].

جعلنا الله وإياكم، ممن إسترشد بنور الكتاب المجيد، وسنة النبي الكريم محمد ﷺ، سالكاً سبل ربه نحو صراطه المستقيم، بهدي أهل بيت النبوة الهداة المعصومين (عليه الصلاة والسلام)، إنه ولي التوفيق.

محمد كاظم الخاقاني

المحتويات

المقدمة..... ٧

المحاضرة الأولى

ما معنى التفسير وحرمة التفسير بالرأي؟ ٩

مقدمة في البدء..... ١٠

ما المراد من التفسير بالرأي؟ ولماذا كان محرماً؟ ١٣

المحاضرة الثانية

تفسير سورة الحمد والكلام عن البسملة..... ١٩

المحاضرة الثالثة

تنبيه هام، وتفسير الرحمانية والرحيمية ٢٧

نسبة لا صحة لها ٢٨

تفسير آية البسملة..... ٣٣

المحاضرة الرابعة

تفصيل آخر في الرحمن والرحيم..... ٣٧

المحاضرة الخامسة

تفسير (الحمد للَّـه) من سورة الفاتحة ٤٥

الشكر والحمد في الآخرة..... ٤٨

المحاضرة السادسة

تفسير ﴿مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ٥٣

المحاضرة السابعة

تفصيل آخر في قوله تعالى: ﴿إياك نعبد﴾ ٦١

المحاضرة الثامنة

في رحاب قوله تعالى: ﴿وإياك نستعين﴾ ٧١

المحاضرة التاسعة

في تفسير قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ٨٣

المحاضرة العاشرة

في تفسير قوله تعالى: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ ٨٩

المحاضرة الحادية عشر

تلخيص و ردّ شُبَه تتعلق بسورة الحمد..... ٩٩

المراد من السورة والآية ١٠١

وأما الشبه وردها ١٠٢

المحاضرة الثانية عشر

الشبهة الثانية: حول قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ١٠٧

المحاضرة الثالثة عشر

الشبهة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿صراط الذين انعمت عليهم﴾..... ١١٥

المحاضرة الرابعة عشر

تفسير قوله تعالى: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ ١٢١

الخاتمة..... ١٢٩

المحتويات ١٣١